دراسات وتقارير

سلسلة غير دورية تعالج قضايا وإشكاليات راهنة

المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق
The Consultative Center for Studies and Documentation

مؤسسة علمية متخصّصة تُعنى بحقلي الأبحاث والمعلومات، وتهتم بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية وتواكب المسائل الاستراتيجية والتحوّلات العالميّة المؤثّرة

الجيوبوليتيك

منذ منتصف القرن التاسع عشر

حتى الآن

د. محمد طي

- صادر عن:
المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق
- العدد: التاسع عشر
- تاريخ النشر:
كانون الأول ٢٠١٩
الموافق ربيع الثاني ١٤٤١
- القياس:
٢١x٢٩ سم.
- الطبعة الأولى

جميع حقوق النشر محفوظة للمركز- وبالتالي غير مسموح نسخ أي جزء من أجزاء التقرير أو اختزانه في أي نظام لاختزان المعلومات واسترجاعها، إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة والاستفادة العلمية مع وجوب ذكر المصدر

الجيوبوليتيك

منذ منتصف القرن التاسع عشر

حتى اليوم

كانون الأول 2019

ثبت المحتويات

مقدمة 5
أهميّة الجيوبوليتيك 6
نشوء الجيوبوليتيك وتطوّرها..... 6
نظريات الجيوبوليتيك الحديثة..... 8
الجيوبوليتيك الأنكلوساكسونيّ: تطويق آسيا..... 8
Alfred Maban (1840 -1914): القوّة البحريّة 9
ضرورة القوّة البحريّة 9
ماهان والمشكلة الآسيويّة:..... 11
Alford J. Mackinder : - (1861-1947): مواجهة بين القوّة القارّيّة والقوّة البحريّة the heartland: نظريّة قلب العالم..... 11
مواجهة الـ heartland بالمحيط الوسطيّ Midland Ocean 14
Nicholas spykman (1893- 1943) le Rimland: 15
الحرب الباردة 17
الجيوبوليتيك الأميركيّة الراهنة..... 18
رقعة الشطرنج الأوراسيّة الكبرى 1928-2017 Zbigniew Brzezinski 18
أميركا ومواجهة الصين وقوى أخرى صاعدة..... 21
بين نهاية التاريخ وصدام الحضارات..... 22
انتصار الهويّات على الأيديولوجيا:..... 22
صدام الحضارات 23
النظام الحضاريّ الجديد: 23
رد جوزيف ستيغليتز على هنتنغتون 24
المركز والهوّة، التدفق:..... 24
الجيوبوليتيك الروسيّ 25

هزيمة سيفاستوبول في عام 1855 25
الجيوبوليتيك الألمانيّ 26
Friedrich Ratzel 1844-1904 26
Rudul kjellén 1864-1929 28
Karl Hanshofer (1896- 1946) 29
Karl Schmitt (1888-1985) la logique des grands espaces منطق الفضاءات الكبرى 30
القانون والأرض 30
الجيوبوليتيك الفرنسي 31
Vidal de la Blache (1845- 1918) 32
Jacques Ancel 1882-1943 32
Jean gottmann-1915-1994 32
العقود الأخيرة والدخول الصينيّ 33
الإرهاب التكفيريّ 35
انعكاسات الجيوبوليتيك وتطوراته 36
Gearóid tuathail (...-1962) الجيوبوليتيك النقديّة، الجيوبوليتيك بين المعرفة والقدرة (السلطة): 37
أدوات التحليل الجيوبوليتيكيّ 39
Edward Luttwak إدوارد لتووك (1942-...) : من الجيوبولتيك إلى الجيو إيكونوميك 39
وسائل الجيوبوليتيك الإمبريالي 40
الاستعمار وحركات التحرّر 40
Michael walzer (...1935) الحرب العادلة والحرب غير العادلة وحقّ التدخل 42
الحرب العادلة 43
joseph Nye 1937-... القوّة الناعمة: 44
من القوّة الناعمة إلى القوّة الذكيّة 45
David Petraeus التعليمات المضادّة 45
مستقبل الجيوبوليتيك 45
الخلاصة 47

مقدمة

الجيوبوليتيك Geopolitic / Géopolitique مصطلح يتكوّن في الأصل من كلمتين يونانيّتين: Geo، وهي الأرض، ثمّ Politique ومعناها سياسة، فهي علم يقوم على علاقة جدليّة بين الأرض والسياسة، ويندمج فيه علم الجغرافيا بعلم السياسة، فيدرس التأثيرات المختلفة للإقليم، بكافّة عناصره (بحار، خلجان، مضايق، جبال، سهول، غابات...) وموقعه وشكله (جزريّ-من جزيرة-، قارّيّ) ومناخه، على أداء صنّاع القرار السياسيّ داخل الدولة نفسها، وعلى أداء السياسة الخارجيّة للدول بشكل عامّ. كما يدرس تأثير السياسة على الأرض، في محاولاتها للاستفادة من ميزاتها من أجل التغيير المستقبليّ لأبعاد الدولة الجغرافيّة، بفعل يُمارس علاقة قوّة في إطار جغرافيّ معيّن.

ويعود الفضل إلى الباحث السّويديّ "رودلف كلين" Rudolf Kjellen (1864- 1922) والباحث الألمانيّ "فريديريك راتزل" Friedrich Ratzel (1844-1904) في بروز هذا المصطلح إلى الوجود، حيث عُرّف بكونه "البيئة الطبيعية للدولة والسلوك السياسي".

وتختلف الجيوبوليتيك عن علم قد يخلطها بعضهم به، وهو الجغرافيا السياسيّة، في أمور منها:

أنّ الجغرافيا السياسيّة تعنى بربط وتحليل تفاعلات بشريّة سريعة الإيقاع -الاتّجاهات السياسيّة الداخليّة والخارجيّة والعسكريّة- مع العوامل الجغرافيّة الأرضيّة شبه الثابتة، وتكون الدولة هي وحدة الدراسة في الجغرافيا السياسيّة وهي في حدّ ذاتها اصطناع بشريّ مؤقّت الثبات نتيجة تغيّرات سريعة داخليّة أو خارجيّة.

أمّا الجيوبوليتك فتقوم برسم تصوّرات سياسيّة مستقبليّة على ضوء تفاعلات البشر والجغرافيا.

إنّ الجغرافيا السياسيّة تجيب على سؤال: أين نحن الآن؟ في حين إنّ الجيوبوليتيك تجيب على سؤال المستقبل وكيفيّة الوصول إليه. وهكذا فالجيوبوليتيك تتعامل مع الدولة ككائن حيّ له طموحه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها موازنًا بينها وبين محيطه الإقليميّ والعالميّ، وهي بالتالي مفتاح سياسات الدول ولا غنى عنها لأيّ مخطِّط استراتيجيّ أو متّخذ قرار أو مهتمّ بالشأن العامّ.

أهميّة الجيوبوليتيك

لعب الموقع الجغرافيّ للدول دورًا كبيرًا في التأثير على سلوكيّات كثير من الإمبراطوريّات والحضارات القديمة، فوجود بعضها على سواحل المحيطات منحها القدرة على تنمية تجارتها الخارجيّة وتطوير أساليب حربيّة معيّنة. فيما شكّل الموقع الجزريّ حمايةً طبيعيّة للدول من الخطر الخارجيّ، كما أنّ موقع إمبراطوريّات أخرى في الجبال ذات التضاريس الوعرة كان له الأثر في إرهاق الخصم وهزيمته وكسب المعارك الحربيّة... من جهة أخرى، كان لجودة الأراضي الزراعيّة أثر كبير في الازدهار الاقتصاديّ، وتعزيز قوّة الدول والإمبراطوريّات... ومن جهة ثالثة، كان للقرار السياسيّ في كثير من المناسبات أثرٌ هامّ على الإقليم، ومن ذلك شقّ الطرق ومدّ سكك الحديد وإنشاء الجسور وحفر الأنفاق والقنوات، وما يرتبط بها من تعزيز العلاقات بين الدول، علاوة على تقسيم بعض الأقاليم إلى وحدات سياسيّة داخليّة (لامركزيّة إداريّة أو سياسيّة) أو خارجيّة، دول مستقلّة.

نشوء الجيوبوليتيك وتطوّرها

إنّ أفكار الجيوبوليتيك قديمة قِدم البشريّة وقد بدأت ملامح هذا العلم تتّضح منذ أن أخذت المجتمعات البشريّة تتّجه نحو إقامة الدولة، حيث بدأ اهتمام المفكّرين بدراسة تأثيرات البيئة الجغرافيّة على الشُّؤون السياسيّة والتخطيط لمستقبل هذه الجغرافيا، ومنها تَوصّل المؤرّخ اليونانيّ هيرودوت Hiroudot إلى أنّ سياسة الدولة تعتمد على جغرافيّتها. من هنا كانت انطلاقة أرسطو الذي كتب عن علاقة السياسة بالجغرافيا في كتاب "السياسة"، الذي أكّد فيه أنّ موقع اليونان الجغرافيّ في الإقليم المعتدل قد أهّل الإغريق للسيادة العالميّة على شعوب الشمال "البارد" والجنوب "الحارّ". وقد بنى أرسطو سياسته على تقسيمات بارمينيدس – Parminides للعالم إلى خمسة أقسام:

- إقليم واحد شديد الحرارة.
- إقليمان شديدا البرودة.
- إقليمان معتدلان.

وقد ترجم الجيوبوليتيك في السياسات الأساسية طوال العصور، ويمكننا تسجيل ما يأتي:

* اعتماد مصر القديمة سياسة "المسطحات الملساء" (glacis)[1] تجاه برقة (شرق ليبيا) وقبرص وبلاد الشام.

[1] - في اللغة العسكرية، يعني مصطلح Glacis الحقل المنبسط أمام حصن ينحدر ببطء من الخارج بحيث يكون هذا الحقل مكشوفًا أمام المدافعين ولا يوفر أي حماية طبيعية للمهاجمين.

* الصراعات التي خاضتها الممالك الجرمانية فيما بينها في القرن التاسع في محاولة لإعادة إنتاج نموذج الإمبراطورية الرومانية بمساعدة الكنيسة الرومانية، ثم غزوات الفايكنج.
* بناء سور الصين العظيم خلال عهد أسرة سونغ من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر، لمواجهة البدو القادمين من السهوب الشمالية.
* قيام الحضارة الإسلامية وتوجهها العالمي من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر.
* الحروب الصليبية، التي شنتها الشعوب الأوروبية ضد القسم الغربي من بلاد الشام وأقامت بنتيجتها ممالك في تلك المنطقة.

* نشوء الإمبراطورية العثمانية وسقوط القسطنطينية:

- تطور الملاحة والصناعات الحربية في القرن التاسع عشر، والصراعات القاتلة على نحو متزايد بسبب تقدم المدفعية (حرب القرم في عام 1856، الحروب ضد النمسا 1865-66، الحرب الأهلية في أمريكا الشمالية، الحرب البروسية الفرنسية 1870-71، الحرب العالمية الأولى.
- الصراع الأيديولوجي، في القرن العشرين، على الصعيد الرباعي: الثقافي والاقتصادي والعسكري والتكنولوجي، بين الليبرالية الرأسمالية، والاشتراكية، والرأسمالية القومية (الفاشية، والاجتماعية القومية)، وعلى صعيد نماذج الحكم، بين الديمقراطية والأنظمة الاستبدادية أو الشمولية؛ الحرب العالمية الثانية.
- الحرب الباردة، وجميع الصراعات المحلية التي ولّدتها أو أُجّجتها؛
- عودة ظهور الأيديولوجيات الدينية والأنظمة السياسية التي ولّدتها (كما هو الحال في إيران)؛
- تكاثر نقاط الاحتكاك والصراعات المتعلقة بالمياه العذبة، والهيدروكربونات، والغاز، ورواسب اليورانيوم، والمياه الإقليمية، والمناطق الاقتصادية الخالصة، والسيطرة على الجزر والمضائق، والطرق البحرية في المناطق القطبية... كل ذلك نتيجة لازدياد أعداد السكان واستنفاد الموارد.
- الحفاظ من قبل القوى الاستعمارية السابقة على الروابط المتميزة، ولا سيما الاقتصادية منها، مع مستعمراتها السابقة (الكومنولث، إفريقيا الفرنسية).
- احتفاظ روسيا بمنطقة نفوذ حصرية في 12 جمهورية من الجمهوريات السوفياتية السابقة الـ 15 التي تم جمعها في "رابطة الدول المستقلة"؛
- قيام محور واشنطن-تل أبيب باعتباره الرافعة الغربية الرئيسية للضغط ضد المجموعة المتنافرة التي يطلق عليها اسم "محور الشر"، وهي الدول المعارضة

للجيوستراتيجية العالمية للولايات المتحدة، ومن هذه الدول كوبا وفنزويلا وإيران وسوريا والسودان وكوريا الشمالية وغيرها من الدول أو الحركات السياسية التي تدّعي الإسلامية أو الشيوعية أو مختلف الأيديولوجيات المعادية للغرب؛

- المحاور الاستراتيجية العالمية (السياسية والاقتصادية والتكنولوجية) مثل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، ومجموعة الثمانية، ومنظمة التجارة العالمية، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، والوكالة الدولية للطاقة الذرية، والمنظمة البحرية الدولية، والمنظمة العالمية للأرصاد الجوية...
- -غزو الفضاء وتخصيص المدارات، وأجهزة المراقبة العسكرية، وثورة الاتصالات.

نظريات الجيوبوليتيك الحديثة

استؤنف التنظير للجيوبوليتيك منذ أواسط القرن التاسع عشر وكان روّاده من الأميركيّين والبريطانيّين، ومفكّري ألمانيا الصاعدة.

أمّا الفرنسيّون فكانوا معارضين لهذا العلم الذي شعروا بأنّه يتجاوزهم ويعطي أسلحة أيديولوجيّة لخصومهم الألمان، لكنّهم ما لبثوا أن انخرطوا فيه دفاعًا عن مصالحهم.

ثم تطوّر هذا العلم وأخذ أبعادًا مختلفة، وطُرحت وسائل لتحقيق ما روّج له من الاحتلال إلى الهيمنة السلمية بالحرب الناعمة وكسب القلوب.

الجيوبوليتيك الأنكلوساكسونيّ: تطويق آسيا

بعد إكمال غزو الغرب الأميركي وصولًا إلى المحيط الهادئ، أخذ القادة العسكريّون وبعض المفكّرين الاستراتيجيّين في الولايات المتّحدة الأميركيّة، بدءًا من منتصف القرن التاسع عشر، يطرحون الخروج من العزلة التي فرضها مبدأ مونرو، فراحوا، اقتداءً ببريطانيا، يطالبون بإنشاء قوّة بحريّة كبرى للسيطرة على البحار تمهيدًا للسيطرة على ما يمكن من العالم. وكان همّهم الأساسيّ مواجهة الكتلة الآسيويّة الهائلة التي يمكن أن تشكّل روسيا عمودها الفقريّ.

وبعد أن تمّ ذلك للولايات المتحدة، التي خرجت إلى الحرب العالميّة الأولى ثمّ الثانية، وبعد نشوء الكتلة الشيوعيّة وعلى رأسها الاتّحاد السوفياتيّ، استمرّ الأميركيّون في سياسة المواجهة، وأنشأوا الأحلاف لمحاصرة الدولة الاشتراكيّة، ومنع توحيد أوراسيا، إلى أن انفرطت الأنظمة الاشتراكيّة، ومنها النظام السوفياتيّ، وخلت الساحة للولايات المتّحدة الأميركيّة فأصبحت القطب الأوحد إلى حين. ثم بدأت تعود أو تظهر قوى أخرى: روسيا، الصين، الهند...

استمرّ الأميركيّون في نشر قواعدهم العسكريّة في العالم وخاصّة حول أوراسيا للاستمرار في تطويق روسيا، ثم الصين معها، مع محاولات دائمة للوقيعة بينهما. ومن المناطق التي استُخدمت في التطويق الدول العربيّة في الشرق الأوسط.

لكنّ مفكرين أميركيّين آخرين، وفي مقدمّهم بول كينيدي، أدركوا أنّ الإمبراطوريّات تولد وتحيا وتموت، لذلك أخذوا يفكّرون في كيفيّة إنقاذ الولايات المتّحدة من هذا المصير أو تأخيره ما أمكن.

هذه الأمور سنعرضها كما وردت في كتابات أهمّ المفكّرين الجيوستراتيجيّين الأميركيّين.

Alfred Maban [2] (1840 -1914): القوّة البحريّة

يؤكد الجنرال الأميركي ألفريد ماهان على ضرورة أن تبني الولايات المتّحدة أسطولًا حربيًا، وأن تتعاون مع بريطانيا في هذا الشأن، كما أنّ عليها أن تهتمّ بحماية سواحلها على المحيط الهادئ لا سيّما بعد فتح قناة بنما التي منحت الدول الأوروبيّة القويّة إمكانيّة النفاذ إلى هذا المحيط الواقع غرب القارّة الأميركيّة.

وكان ماهان يدعو إلى أن توفّر الولايات المتّحدة لنفسها قوة صناعيّة وأسطولًا تجاريًا.

وكان هاجس ماهان الأساسيّ المنطقة الآسيويّة، وخاصّة روسيا. كما كان يهتمّ أيضًا بمنع ألمانيا من الخروج إلى البحار.

ضرورة القوّة البحريّة

رأى ماهان أنّ اتّساع الولايات المتّحدة، لا سيّما بعد إنجاز اجتياح الغرب الأميركيّ، يوجب عليها، لأنّها تبدو كجزيرة في العالم، استخدام تأثيرها لتصبح قوّة من الدرجة الأولى، وذلك بأن تنشئ قوّة بحريّة، توفّر لها الإشعاع والأمن اللذين ترنو إليهما.

وكان يرى أنّ على بلاده إقامة تلاقٍ مع أوروبا لاحتواء أيّ قوّة آسيويّة، في الوقت الذي تتوسّع فيه أميركا في المحيط الهادئ (هاواي، جزيرة غوام، أرخبيل الفليبين 1898). وأن تصبح قوّة صناعيّة عظمى قادرة على أن تبني، على الأمد الطويل، أسطولًا حديثًا سريعًا وصلبًا، وأن تجعل من إنكلترا وبحريّتها شريكًا مميّزًا لها في السيطرة على البحار والممرّات الاستراتيجيّة في المحيطات. وعليها أن تقيم نقاط ارتكاز في الخارج: مستعمرات، قواعد عسكريّة... وإلاّ فإنّ قوّتها العسكريّة ستكون محكومة بالعجز.

---

[2] يقول ماهان إنه هو الذي ابتكر تعبير "الشرق الأوسط" في مادة نشرها في (national review de Londres) سنة 1920.

وعليها من جهة أخرى أن تعمل على منع ألمانيا من أن تخرج من دورها القارّيّ، الذي ليس طريقًا مفضّلًا للسيطرة العالميّة، وتلقي بقوّتها الفتيّة في المحيطات.

وكان ماهان، بعد التقدّم التكنولوجيّ الحاصل، يولي اهتمامًا لـ "المديات"، خاصّة للفضاءات البحريّة في التنافس الدوليّ. وقد بلور ما يمكن تسميته "thalassopolitique" (سياسة البحر)، بدل الجيوبوليتيك، فمفتاح القوّة لا يكمن في اجتياح اليابسة، وإنّما في السيطرة على البحار. فعبر التاريخ كانت القوّة البحريّة هي الحاسمة بدليل قوّة بريطانيا. ومن شروط القوّة البحريّة للدولة:

الموقع: الإطلالة على البحر- فالوضع الجزريّ أفضل للقوّة البحريّة، أمّا الاتّصال القارّي فيوزع القوّة بين بريّة وبحريّة (مثال فرنسا).

امتداد الشواطئ: وكذلك طبيعة خلجانها. وهو أهمّ من اتّساع الأرض.

خصوبة الأرض: هل الدولة بحاجة للخارج أم هي تنتج بشكل جيّد؟

الحكم: من حيث ثباته في التطلّع إلى التفوّق في البحر.

السكّان: ليس العدد هو المهمّ، لكن نسبة من يعيشون على الساحل، لأنّ من يعيشون على الساحل يمكن تعبئتهم في الحرب البحريّة أكثر من الآخرين.

الوطنيّة: من حيث امتلاك الاستعداد لإقامة قوّة بحريّة (الحسّ التجاريّ وذوق المغامرة)، ذلك أنّ ماهان لا يحصر الأمر بالبحريّة العسكريّة، بل وبالبحريّة التجاريّة أيضًا، فضرورة البحريّة العسكرية بالمعنى الضيّق لسفن الحرب تتولّد من وجود بحريّة تجاريّة، وتختفي باختفائها.

وما يزيد الإصرار على إقامة الأسطول وحماية الشواطئ الأميركيّة فتح قناة بنما، الذي لا يقرّب شواطئ المحيط الهادي من شواطئ الأطلسيّ وحسب، بل يتيح للقوّة الأوروبيّة، كما رأينا، أن تصل إلى شواطئ المحيط الهادئ، ما يشكّل خطرًا على أميركا. من أجل ذلك يجب:

- تقوية الدفاعات الساحليّة: بحيث تصبح الموانئ عصيّة على الاحتلال.
- تطوير أسطول حربيّ والقيام بأعمال هجوميّة رادعة.
- إقامة محيط أمان بـ 3000 ميل حول سان فرنسيسكو الواقعة على ساحل المحيط الهادئ، بحيث لا تقيم أيّ دولة نقطة ارتكاز لها فيه، لذا يجب الاستيلاء على هاواي.
- اتّخاذ أراضٍ وراء البحار لتكون نقاط ارتكاز على الطرق البحريّة.

على أنّ هذه الأفكار، التي كانت تتعارض مع عقيدة مونرو، كان لها تأثيرها في التحوّل الإمبرياليّ، الذي جرى نهاية السنوات 1890، وقد عزّزت نظريّته الحرب الأميركيّة الإسبانيّة سنة 1898 والاستيلاء على الفيليبين، وما زالت أميركا تأخذ جزئيًا بأفكاره حتّى اليوم.

ماهان والمشكلة الآسيويّة:

كان ماهان قلقًا من امتداد الإمبراطوريّة الروسيّة في آسيا الوسطى، إلاّ أنّه كان يرى أنّ هذه السيطرة تواجهها بريطانيا، التي تحاول بقوّتها البحريّة، الدخول من نقاط ساحليّة إلى جنوب القارّة بين الإمبراطوريّة الروسيّة والهند، ويرى أنّ هناك حزامًا clivante يمتدّ من البحر المتوسّط إلى المحيط الهادئ، تتواجه فيه القوى البحريّة البريطانيّة مع القوّة البريّة الروسيّة.

ولأنّ روسيا تصبح عدوانيّة في محاولتها فكّ عزلتها والوصول إلى البحار الدافئة يجب مواجهتها بتحالف رباعيّ: بريطانيا، الولايات المتّحدة، اليابان، ألمانيا[3].

Alford J. Mackinder [4]: - (1861-1947): مواجهة بين القوّة القارّيّة والقوّة البحريّة the heartland: نظريّة قلب العالم

يرى البريطانيّ السير ألفورد جون ماكيندر، وغيره، "أنّ أوروبا والتاريخ الأوروبيّ يخضعان لآسيا وتاريخ آسيا، لأنّ الحضارة الأوروبيّة هي بصورة ملموسة جدًا نتيجة لنضال قرون ضدّ الغزو الآسيويّ... ومن المأمول أكثر أن نغيّر منظورنا الجغرافيّ المركّز على أوروبا لنأخذ بالحسبان العالم القديم بكامله، وهذا العالم هو أوراسيا المحكومة بالسهل الشرقيّ المتواصل، الذي يضعه في مواجهة المجموعة الجبليّة الغنيّة، وأودية وأشباه جزر وجزر تشكّل الباقي من هذا الجزء من العالم، وهو الغرب، وتاريخ هذا الغرب ينتج عن الضغط المستمرّ الذي يمارسه عليه غزاة آتون من الشرق عبر سهوب آسيا الوسطى.

وإذا كانت أوروبا سيطرت بواسطة التقدّم التكنولوجيّ على المحيط الذي يلف الأرض وهيمنت على الشرق، فإنّ هذه السيطرة في طريقها إلى الاهتزاز نتيجة مدّ سكك الحديد العابرة للقارّات. وبالنسبة إلى ماكندر يسجّل القرن العشرون الدخول في عصر تاريخيّ جديد، بعد عصر حكم البحار thalassocratique[5]، العصر الكولومبيّ وعصر التوسّع الأوروبيّ في البحار. إذ بدأ "حكم اليابسة tellurocratique" يعود إلى طابعه المركزيّ، وأخذت سيطرته، من الآن فصاعدًا، تشكّل الهدف الاستراتيجيّ المحوريّ في السباق نحو القوّة، وهكذا سيكون الخطر الأكبر قادمًا من روسيا، المسيطرة على محور pivot العالم: المحور الجغرافيّ للتاريخ،

---

[3] بيبليوغرافية مختارة: "مصالح أميركا في القوة البحرية اليوم وغدًا" 1897.

[4] السير هالفورد جون ماكيندر (15 شباط 1861 - 6 آذار 1947) عالمٌ جغرافي وأكاديميٌ وسياسيٌ إنكليزي، كان أول مدير لكلية الإرشاد الجامعي، ريدينج (التي أصبحت جامعة ريدينغ)، وكان مديرًا لكلية لندن للاقتصاد، يعتبر أحد الآباء المؤسسين لكل من الجغرافيا السياسية والاستراتيجية الجغرافية.

[5] Raleigh Walter بحّار إنكليزي من عهد اليزابيت في القرن 16: "من يمسك بالبحر يمسك بالتجارة ومن يمسك بالتجارة يمسك بالغنى ومن يمسك بغنى العالم يمسك العالم نفسه".

فإذا ما استطاعت، بالقوّة الذاتيّة أو بالتحالف، أن تهيمن على جزء من الحزام الساحليّ لأوراسيا فهذا سيفتح لها باب المحيط، لتصبح سيّدة اليابسة والبحر التي لا تقهر.

العصر ما قبل الكولومبيّ	الحوادث الكبرى اجتياحات آسيويّة لأوروبا	وسيلة التحرّك المهيمنة الحصان والجمل	نوع السلطة في المنطقة المسيطرة قوّة برّيّة في السهوب أو أسيويّة
العصر الكولومبيّ	توسّع أوروبيّ وراء البحار	الملاحة	قوّة بحريّة للدول الاستعماريّة الأوروبيّة.
العصر ما بعد الكولومبيّ	تملّك مجموع المساحة اليابسة	سكك الحديد	قوّة برّيّة لمن يسيطر على قلب العالم

يقوم مفهوم ماكيندر على المحور الجغرافيّ pivot، وهو يستند إلى المعطيات الخاصّة بالقوّة البريطانيّة الجزريّة والبحرانيّة thalassocratique، لكنّه لا يغفل عن ثورة خطوط الحديد بصفة كونها عاملًا للتوحيد والتكثيف وحرّيّة الفعل الجديدة، بالنسبة للقوى القارّيّة.

تأثّر ماكيندر بـ "اللعبة الكبرى" بين روسيا القيصريّة وبريطانيا العظمى حيث شكّلت القوّة البريّة هاجسه الأساسيّ. وتتلخّص نظريّته في رؤيته للأرض وتقسيمه لها إلى وحدات ذات خصائص ومميّزات. فهو ينظر إلى العالم على أنّه جزيرة كبيرة متّصلة (آسيا – أوروبا – أفريقيا) تحيط بها جزر على الأطراف (الأميركيّتين – أستراليا).. ثمّ يتساءل:
أين كانت أكثر المناطق حصانة على مدار التاريخ؟ ويصل إلى أنّها المنطقة القارّيّة الحصينة الممتدّة عبر روسيا إلى حدود الصين وأوروبا الشرقيّة.

في ما يسمّيه "المحيط-العالم"، الذي تشكّله الكرة الأرضيّة ($\frac{3}{4}$ من الماء) هناك محور ثابت، كتلة قارّيّة ساحقة تترابط حولها كلّ استراتيجيات قوى الدول المهيمنة، وهو أوراسيا التي تملك قلبًا استراتيجيًا heartland، يندمج تقريبًا بروسيا، في آسيا الوسطى، خصوصًا كازاخستان (التي كانت جزءًا من الاتّحاد السوفياتيّ)، ويمكن أن يملك استعدادًا ليكون قوّة هائلة بعد تطوّر وسائل الاتّصال.

ويرى ماكيندر أنّ هذه المنطقة تحميها الحواجز الطبيعيّة، وتتمتّع بمواصفات خاصّة تمكنّها من إنشاء إمبراطوريّة عظمى لا تعتمد على السواحل، وتستطيع التماسك مستغنية عن البحر، وهي قريبة من مصادر القوى في الجزيرة العالميّة كما تمتاز بحصانتها الطبيعيّة، وكلّ ما تحتاجه هو نظام نقل برّيّ، ممّا يجعلها قادرة على الحركة العسكريّة والتجاريّة بكلفة أقلّ من القوى البحريّة وحصينة من الناحية العسكريّة.

ويحيط بقلب العالم هلال داخليّ أو هامشيّ، مكوّن من الـ Coastlands (أرض السواحل) التي تمنحه بوابات على المحيط العالميّ. والسواحل المقصودة هي الدول الإسكندنافية، أوروبا الغربيّة، البلاد العربيّة، آسيا الجنوبيّة، الشرق الأقصى حتّى الصين.

وحول هذا المحور وأحزمته يقوم الحزام الجزريّ: بريطانيا العظمى، واليابان، وفي العمق الولايات المتّحدة، المحور pole البحريّ العالميّ، وهي تحاصر "قلب العالم: لكنّ الأمور كلّها تضطرب إذا اتّحدت ألمانيا وروسيا المحصورتين، وخلقتا وحدة "جزيرة العالم"، فتؤمّنان هيمنة للقوى القارّيّة، وهي يمكن، نظرًا لعظمة مواردها، أن تنشئ قوّة بحريّة تسيطر على العالم". فـ "**من يمسك بأوروبا الشرقيّة يمسك بقلب العالم، ومن يمسك بقلب العالم يمسك بجزيرة العالم. ومن يمسك بجزيرة العالم يسيطر على العالم**"؟[6].

لذلك يجب عدم السماح بتوحيد منطقة قلب الأرض الشماليّ لخطورة ذلك على المملكة المتّحدة. وهذا ما كان فهمه وليم بت w. pit عندما واجه محاولة نابليون محاصرة بريطانيا بواسطة أوروبا.

بعد الحرب الأولى عدّل ماكندر موقفه بعض الشيء، وقسّم العالم إلى ثلاث مجموعات غير متساوية:

- **المحيط** وهو موحّد لكن قُسِّم بشكل مصطنع.
- **الجزيرة-العالم** أو القارّة الكبرى أوراسافريقيا، والبحر المتوسّط يكون بحيرة كبرى لا تقسم هذه القارّة.
- **الجزر التابعة** بريطانيا، أميركا، اليابان، أستراليا.

أمّا فكرة قلب العالم فتعني اليوم عالمين:

الأوّل الشماليّ، ويتكوّن من قلب العالم، كما السابق، تضاف إليه هوامشه. وهو الهدف الأساسيّ للجيوبوليتيك العالميّة.

الثاني الجنوبيّ، ويتكوّن من أفريقيا جنوب الصحراء والعربيّة والصحراء العصيّة على شعوب البحر. لكنّ السيطرة عليه تسمح بالسيطرة على محيطه، العربيّة، المحيط الهنديّ، المحيط الهادئ.

---

[6] ولكن هذه النظريّة ثبت فشلها في الحرب العالميّة الثانية حيث سيطر هتلر على أوروبا الشرقيّة ولم يستطع أن يسيطر على العالم.

مواجهة الـ heartland بالمحيط الوسطيّ Midland Ocean

سنة 1943، خشية من قوّة الاتّحاد السوفياتيّ، تساءل ماكندر عن كيفيّة المواجهة: طرح القوّة الجويّة. لكنّه لم يثق بها لحاجة القوّة الجويّة للتنظيم على اليابسة، لذلك كان يساند سياسة تفكيك النمسا- هنغاريا وعزل روسيا السوفياتيّة، ودعا قبل نشوء حلف شمال الأطلسي الـ NATO، إلى تحالف بين المحاور الثلاثة: المحيط الأوسط (الأطلسيّ)، فرنسا (رأس الجسر إلى أوروبا)، بريطانيا (مطار محميّ بالأمواج)، الولايات المتّحدة (الداعم البحريّ في العمق). لا سيّما وأنّها قد تحوّلت بعد حفر قناة بنما إلى قوّة في المحيط الهادئ، وأصبحت معنيّة بالشؤون الآسيويّة وتشكّل مع كندا (خزّان الرجال المدرّبين والزراعة والصناعة).

وقد تولّدت فعلًا ثنائيّة صراعيّة بين قوى البرّ والبحر: قوى البرّ (قلب العالم) وقوى البحر (الهلال الخارجيّ). يدور الصراع حول السيطرة على الهلال الداخليّ الذي يسمّيه ماكيندر منطقة الاصطدام (crush zone). وعلى هذا أصبحت المناطق الحاجزة بين الجرمان والسلاف الممتدّة من أستونيا إلى بلغاريا (في رأي ماكيندر) مفتاح السيطرة العالميّة. وقد رأينا ديناميكيّة الصراع في الحرب العالميّة الأولى بتقدّم ألمانيا شرقًا لمحاولة الوصول إلى قلب العالم، ورأيناها في الحرب العالميّة الثانية متمثّلة في محاولة قوى البرّ (روسيا) السيطرة على أوروبا الشرقيّة والتقدّم نحو الهلال الداخليّ. وما تميّز به تفكير ماكيندر أنّه كان دائم التغيير في حدود قلب العالم ونظرته للعالم بكامله وفقًا لتغير المعطيات البشريّة والطبيعيّة.

ترى الأطروحات التي تعرّضت لماكيندر بالنقد أنّ **الهيرتلاند** Heartland ليس مؤهّلا لحكم العالم تأهّلًا تامًا. فإلى جانب مزاياه، نجد الهيرتلاند معرّضًا دائمًا لإتلافه من الهوامش عن طريق الأسلحة الجويّة الحديثة؛ أي أنّ توسّط الهيرتلاند له مزاياه وعيوبه. ولكن إلى جانب هذه النقطة الاعتراضيّة نجد اعترافًا صريحًا من قِبل واضعي الاستراتيجيّات الحديثة في الدول الغربيّة بأنّ ماكيندر كان على حقّ في آرائه. فلم تتمكّن ألمانيا من إخضاع المناطق الحاجزة بين الجرمان والسلاف، وأصبحت هذه المناطق في دائرة نفوذ الهيرتلاند (روسيا).

من جهة أخرى، لم يتنبّه ماكيندر لمسألة الطاقّة وخاصّة الموجودة في الشرق الأوسط، والتي شكّلت مادّة للتنافس بين القوى الغربيّة، خاصّة بعد الحرب الثانيّة.

"غير أنه لم تطرح نظريات كثيرة بعد ماكيندر تخرج عن ذلك التقسيم الذي اعتمده للعالم. فجلّ ما حدث هو تغيير في ميزان القوى بين قوى البر والبحر أو بين الهامش والمركز"

le Rimland (1893- 1943) Nicholas spykman[7]:

تأثّر العالم الأميركي نيكولاي سبايكمان بظروف الحرب العالميّة الثانية، والقلق من انتصار دول المحور (ألمانيا، إيطاليا، اليابان) على الولايات المتّحدة وحليفيها الاتّحاد السوفياتيّ وبريطانيا العظمى، وكانت القوّة البرّيّة هاجسه، كما ماكندر.

درس سبايكمن، أوّلًا، تأثير الجغرافيا على السياسة الخارجيّة للدول. ورأى أنّ الميزات الجغرافيّة للدول ثابتة نسبيًا ولا تتغيّر، فطموحاتها الجغرافيّة تبقى هي نفسها خلال قرون، ورأى أنّ الجغرافيا مسؤولة عن عدد من الصراعات، وفيما تندثر حكومات وأسر حاكمة تتوالى هذه الصراعات خلال التاريخ. لكنّه يؤكّد أنّه ليس في العلاقات الدوليّة حتميّة déterminisme، ولا قدرتيّة possibilisme، بل شروطيّة conditionnisme.

فالجغرافيا "لا تقدّم فقط إمكانات مفيدة، لكنّها تقضي بأن تستخدم هذه الإمكانات. فحرّيّة الإنسان الوحيدة تقوم على قدرته على أن يستخدم، بشكل جيّد أو سيئ، أو أن يعدّل إلى الأفضل أو إلى الأسوأ هذه الإمكانات". فالجغرافيا عامل في العلاقات الدوليّة. وهو يركز على ثلاثة معايير مبيّنًا انخراطاها السياسيّة: المساحة، والموقع الإقليميّ (الجوار) والموقع الدوليّ، وأنّ على رجال السياسة أن يولوها اهتمامهم.

إن حجم الدولة عامل قويّ، وهكذا ففي مدى خمسين عامًا سيكون حكم العالم رباعيًا مكوّنًا من الصين، الهند، الولايات المتّحدة، الاتحاد السوفياتيّ، لكنّ الاتّساع لا يوفّر القوّة آليًا بل يسمح لها بالتحقّق، وعليها أن تقيم داخلها شبكة تواصل تربط المركز بالأطراف.

والموقع هو العامل الأساسيّ الأوّل لسياستها الخارجيّة، فهي تكون إما "دولة محصورة وإما دولة جزريّة، وإما دولة مالكة لحدود بريّة وبحريّة. ولكل وضع حسنات وسيئات، فالمحصورة فريسة للأمن عند حدودها. والجزرية في تنافس مع القوى الأخرى البحريّة للسيطرة على المحيطات. والصنف الثالث ذو الحدود البرّيّة والبحريّة، كفرنسا مثلًا، عليه أن يقود دفاعًا على جبهتين من طبيعتين مختلفتين، ما يعقّد بلورة استراتيجيّته.

على أنّ كلّ الدول تنزع إلى التمدّد لتصحيح حدودها من وجهة نظر استراتيجيّة، وليس السلام إلاّ استراحة بين احتكاكات القوى الدوليّة المستمرّة.

---

[7] نيكولاس سبيكمان: جيوستراتيجي هولندي أميركي، وهو عالم سياسي، يعتبر أحد مؤسسي المدرسة الواقعية الكلاسيكية في السياسة الخارجية الأميركية. يهتم بالفكر السياسي لأوروبا الشرقية من وجهة النظر الأميركية. هو أستاذ العلاقات الدولية، ويقوم بتدريسها في معهد الدراسات الدولية في جامعة ييل.

إحدى اهتماماته الرئيسة هو جعل طلابه ملمين بالجغرافيا، لأنه لا يمكن فهم الجغرافيا السياسية دون فهم الجغرافيا. أدى عمله في الجغرافيا السياسية والجغرافيا الاستراتيجية إلى أن يعرف باسم أبو علم الاحتواء.

ورأى سبايكمن انطلاقًا من فشل عصبة الأمم إبّان الحرب الثانية، أنه يتحتّم على الدول في علاقاتها الدوليّة، الحفاظ على "وحدتها الجغرافيّة واستقلالها السياسي"، وأنّ "الصراع من أجل القوّة شبيه بالصراع من أجل البقاء". ذلك "أنّ هامش الأمان لبلد ما هو هامش الخطر بالنسبة إلى بلد آخر"، "إنّ الحرب مزعجة ولكنّها أمر ملازم للنظام المكوّن من دول سيّدة ومستقلّة".

وبعد معاينته حقيقة أنّ سيطرة هتلر على شرق أوروبا لم تؤدِّ إلى السيطرة تلقائيًا على الاتّحاد السوفياتيّ، كما اعتقد ماكندر، طرح سبايكمن مفهوم الـ rimland (أرض الحافّة: المشاطئة للبحار)، فهناك يتركّز القسم الأساسيّ من السكّان وقسم كبير من الموارد المفيدة. كما يوفّر له موقعه سهولة في الاتّصالات، وإن كان معرّضًا من جانبين من البرّ ومن البحر. فوحدة قلب العالم تبقى نظريّة (ألمانيا- روسيا)، وقطب العالم ليس في المركز القارّيّ لأوراسيا، كما ذهب إليه ماكندر، ولكن على حفافيه (coastland)، وهو حقل معركة دائمة بين القوى العالميّة كفرنسا بين بريطانيا وألمانيا، من جهة، وروسيا التي تسعى دائمًا للحصول على شاطئ من الريملاند (على البحار الدافئة)، من جهة أخرى. ويمكن أن ندرج هنا البلاد العربيّة المطلّة على البحار، التي تربط أوروبا عبر البحر المتوسّط وأفريقيا بآسيا والمحيطين الهنديّ والهادئ، وخاصّة منطقة الشرق الأوسط، التي تشكّل فريسة تتنافس عليها كل القوى العظمى العالميّة، وهذا ما كان تنبّه إليه نابوليون إبّان حملته على مصر، ثم بالمرستون، السكرتير البريطاني لشؤون الحرب، منذ أوائل القرن التاسع عشر، إذ أيقنا بضرورة السيطرة عليها عن طريق إضعافها وفصل قسميها الجنوبيّ (مصر ووراءها شمال أفريقيا) والشرقيّ (بلاد الشام)، أحدهما عن الآخر[8]. ويقول سبايكمن: **"إن من يسيطر على الريملاند يهيمن على أوراسيا، ومن يهيمن على أوراسيا يسيطر على مصائر العالم"**.

أثّرت نظريّة سبايكمن، في الريملاند، في العقيدة الأميركيّة الرسميّة للاحتواء ضدّ الشيوعية كشكل من حصار روسيا السوفياتيّة، والتي روّج لها ترومان منذ عام 1947. إذًا فسبايكمن هو أحد رموز دبلوماسيّة التدخّل و "الواقعيّة" الأميركيّة، التي أناخت بثقلها على العلاقات الدوليّة لما بعد الحرب الثانية حتّى اليوم.

وهكذا فمن أجل منع أيّ قوّة عالميّة من أن تبرز في أوراسيا فإنّ نظام التحالف الأميركيّ يتمركز منطقيًا في الريملاند: في أوروبا الغربيّة، والشرق الأوسط، وجنوب آسيا (OTASE). واستخدمت الصين ضدّ روسيا منذ 1970 (كيسنجر). لكن بعد بروز الصين بقوّة طُرِح تطويقها بالقواعد والدول الحليفة للولايات المتّحدة، ما يمنع الأسطول الصينيّ من أن يأخذ حرّيّته، فيبقى في المياه الضحلة القريبة من البرّ.

---

[8] راجع محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرّيّة بين العرب و"إسرائيل" دار الشروق، القاهرة، ط. 1، 1996، ج1، ص 27-40.

كان سبايكمن يحاول إقناع صنّاع القرار بالدور الذي يجب أن تلعبه الولايات المتّحدة في الحرب العالمية الثانيّة، فعليها أن تدخلها لتتلافى الخنق السياسيّ الذي يُهيّأ له (من قبل ألمانيا، واليابان). لا سيّما وأنّ التقدّم التكنولوجيّ العسكريّ عدّل في المعطيات التاريخيّة. فالمحيطات، التي تحيط بأميركا، لم تعد "حواجز، بل طرق رئيسيّة autoroutes. إنّها أبواب مفتوحة للغزاة القادمين من العالم القديم".

وفي آخر ما نشر له يرى سبايكمان أنّ نهاية الحرب لا تعني نهاية صراع الدول من أجل القوّة، وكان يهتمّ بموازين القوى بعد الحرب، ففي وسط المحيط تسيطر جزيرة عالميّة (قارن مع ماكندر) هي أوراسافريقيا وهي تشكّل الرهان الأكبر، وهي محاطة بجزر طرفيّة (بريطانيا، اليابان، أستراليا، الولايات المتّحدة). وهدف الولايات المتّحدة يجب أن يتركّز على تلافي توحيد مراكز القوّة في العالم القديم في تحالف معادٍ لمصالحها الخاصّة.

وأخيرًا يرى سبايكمن أنّ رافعة القوّة ليست امتلاك مساحات مجدبة من الأرض الجليديّة (كما هي حال روسيا)، ولكن السيطرة على المساحة الوسطيّة، الريملاند. فالقوّة لا تتأمّن بالسيطرة على الأرض (ماكندر) أو على البحر (ماهان) بل على المنطقة التي تؤمّن التواصل بين الاثنين: "**من يسيطر على الأرض الطرفيّة يمسك بأوراسيا، ومن يمسك بأوراسيا يسيطر على مصير العالم**".

الحرب الباردة

كان من نتيجة انقسام الحلفاء في الحرب العالمية الثانية أن نشبت "الحرب الباردة". والحرب الباردة هي حرب اقتصاديّة ثقافيّة اجتماعيّة شنّها الغرب ضدّ المعسكر الاشتراكيّ، الذي كان يقوده الاتّحاد السوفياتيّ، ولبّه روسيا، حيث جرى سباق تسلّح بين المعسكرين امتلك فيه كلّ منهما ترسانة تكفي لتدمير العالم عدّة مرّات، وكلّفت استثمارات هائلة، أثّرت بشكل عميق على اقتصاد الاتّحاد السوفياتيّ، ممّا أدّى إلى انفراط المعسكر الاشتراكيّ وتفكّك الاتّحاد السوفياتيّ، وتحوّل ما تبقّى من قوّته الرئيسيّة إلى روسيا.

في تلك المرحلة التي استمرّت من الخمسينيّات إلى أواخر الثمانينيّات كان توازن الرعب النوويّ يمنع الحرب المباشرة بين المعسكرين، فاستعيض عنها بالحروب ضدّ الحلفاء، كما حصل في الحرب الأميركيّة في كوريا وفيتنام... أو بالحرب بالواسطة بين الحلفاء.

وخارج المعسكرين نشأت حركة عدم الانحياز، التي ضمّت دولًا لا تنتمي إلى أيّ منهما، وشكّلت الكتلة الكبرى في الأمم المتّحدة. وهي التي مكّنت من تطوير القانون الدولي في

مجال مناهضة الاستعمار وتكريس حقّ الشعوب في تقرير مصيرها، الأمر الذي سيرتدّ عليه الغرب في حقبة القطب الواحد.

أدّى انتصار الغرب بقيادة الولايات المتّحدة بنتيجة الحرب الباردة إلى هيمنة القطب الواحد الأميركيّ، وإلى تضييق الخناق على روسيا:

من الجهة الأوروبيّة، حيث تمدّد حلف شمال الأطلسيّ ليصل إلى مشارف تلك الدولة،

من الجهة الآسيويّة، حيث وصل النفوذ الأميركيّ إلى الدول التي انبثقت عن تفكّك الاتحاد السوفياتيّ، ويشدّد الحصار الاقتصاديّ على الدولة الروسيّة، التي ردّت في البلقان وفي بعض الدول الآسيويّة، وما زالت الحرب سجالًا بين الطرفين.

الجيوبوليتيك الأميركيّة الراهنة

منذ نهاية الثمانينيّات وضعت الولايات المتّحدة استراتيجيّة شاملة لضمان تفوّق الجيش والشركات الأمريكيّة على العالم. تمحورت هذه الاستراتيجيّة حول كونسورسيوم من الشركات الكبيرة في قطاعي الكمبيوتر والطيران، وهي التي مكّنت القوّات الأمريكيّة من غزو العراق، عام 2003. هذه الاستراتيجيّة العالميّة تشمل الآن جميع قطاعات النشاط تقريبًا، وتعتمد على استخدام منظّم جدًا لتكنولوجيا المعلومات (الإنترنت، الشبكات).

وقد دفعت الرغبة في الوصول إلى الموارد النفطيّة إلى تحديد استراتيجيّات خاصّة تقوم على السيطرة على هذا المورد الحيويّ عالميًا، لا لأنّ الولايات المتّحدة تحتاجه، بل لأنّها تريد أن تتحكّم باستخراجه وتوزيعه، فتأمر بزيادة حجم الإنتاج أو خفضه، وتمنع أو تسمح بتصديره إلى هذا الطرف أو ذاك. (جيوبوليتيك النفط).

رقعة الشطرنج الأوراسيّة الكبرى Zbigniew Brzezinski 1928-2017[9]

اعتبر زبيغنيو بريجنسكي أنّ الصراع العالميّ، بعد نهاية الحرب الباردة، اتّخذ أبعادًا أكبر، وبات يشمل الساحتين الأوروبيّة والآسيويّة، "أوراسيا"، وهو يتموضع بين ماكندر (قلب العالم-

[9] زبيغنيو بريجينسكي: 28 آذار 1928/ 26 أيار 2017 – دبلوماسيٌ أميركي – بولندي وعالمٌ سياسيٌ. شغل منصب مستشار للرئيس ليندون جونسون في الفترة من 1966 إلى 1968 وكان مستشار الأمن القومي للرئيس جيمي كارتر من 1977 إلى 1981. ينتمي بريجنسكي إلى المدرسة الواقعية للعلاقات الدولية، يختلف مع التقاليد الجيوسياسية لهالفورد ماكيندر ونيكولاس ج. سبيكمان.

أوراسيا) وسبايكمان (الحافّة). ويحاول ابتكار خطّ سياسيّ يسمح للولايات المتّحدة، التي لا بدّ أن تتراجع، بأن تحافظ على هيمنتها ما أمكن في وجه أوراسيا، وخاصّة روسيا.

يرى بريجنسكي انزياح القشرة الأرضيّة (القوّة) صوب الولايات المتّحدة الأميركيّة، القوّة الشاملة globale الأولى في التاريخ، فهي لا تسيطر على كامل المحيطات والبحار، ولكن لديها قوى برمائيّة تسمح لها بالتدخّل في كلّ مكان، لذلك هي القوّة العظمى hyperpuissance، التي تفرض نفسها على العالم، ولا نظير لها في ديمقراطيّتها، وتتميّز بقلّة ميلها الفطريّ للحروب البعيدة، وهيمنتها لا تعتمد على الاجتياح الأرضيّ الصرف، بل هي تختار شركاء لتصنع منهم حلفاء طيّعين (ألمانيا، اليابان،...)، إذًا هي، بدل السيطرة، تؤكّد أنّها نموذج يقتدى به.

وهي تدير علاقاتها مع الخارج، كما تدير تنوّعها الداخليّ، من خلال "بنية معقّدة من المؤسّسات والوسائط المقامة لتخلق التوافق وتخفف من اللاتوازن والاختلاف".

لكن رغم هذا الحجم، فالهيمنة الأميركيّة تبقى سطحيّة وتحت رحمة عودة النزاعات، إنّما هذا لا يحصل إلاّ في أوراسيا، المنطقة التي يخطىء من لا يهتمّ بها، فأوراسيا لم تقل بعد كلمتها الأخيرة. إن المحور الجغرافيّ للتاريخ"، والـرهان الجيوبوليتيكيّ الأساسيّ هو أوراسيا هذه، "التي تشكّل" المسرح الوحيد الذي يمكن أن يحتمل ظهور المنافس من أجل السيطرة عليه.

لكنَّ القوى الرئيسيّة: أوروبا الغربيّة والمجمّع الصينيّ- اليابانيّ في الشرق، لا تتركّز في قلب العالم، بل في الريملاند السبايكمنيّة. أمّا الهوامش الجنوبيّة، وعلى رأسها العربيّة طبعًا، فهي ذات استراتيجيّة مفصليّة، بسبب الكمّيات الهائلة من موارد الطاقة (ما كان يهمله ماكندر، كما أسلفنا). فالخطر على القوّة المهيمنة لا يمكن أن يأتي إلاّ من قوّة مضادّة تتوصّل إلى فرض هيمنتها على أوراسيا. وهذا السيناريو يمكن أن يتحقّق انطلاقًا من محاور جغرافيّة متعدّدة، وليس فقط من قلب العالم، فبروز القوّة في أوراسيا سيكون نقطة الانطلاق للهيمنة الشاملة. ولكي تمنع بروز قوّة مخاصمة في أوراسيا، على أميركا أن تحافظ على الانقسامات داخل تلك المنطقة.

تدور اللعبة، حسب بريجنسكي، على رقعة شطرنج مشوّهة ومترامية الأطراف، تمتدّ من لشبونة (البرتغال) إلى فلاديفوستوك (على الطرف الشرقي لروسيا). "حيث تلعب الولايات المتّحدة الدور المهيمن، وإذا لم يكن الجنوب خاضعًا للهيمنة الخالصة للاعب واحد، وإذا لم يحقّق الشرق وحدته بشكل يجعل أميركا تُطرَد من قواعدها الجزريّة (اليابان، تايوان)، فستحتفظ أميركا بوضع مهيمن. لكن إذا قُطِع الفضاء الأوسط (المركزيّ) عن الغرب وشكّل كيانًا ديناميًا قادرًا على المبادرات الخاصّة، وإذا أمّن، نتيجة لذلك، سيطرته على الجنوب أو شكّل تحالفًا مع اللاعب الأساسيّ الشرقيّ، عندها سيضعف وضع أميركا في أوراسيا بشكل

رهيب. في الشرق سيكون لاتّحاد القوّتين نتائج مشابهة، وأخيرًا على الأطراف الغربيّة. وسترسم إزاحة الولايات المتّحدة من قبل شركائها نهاية الشراكة الأميركيّة في لعبة الشطرنج الأوراسيّة، حتّى ولو عنت تلك العودة إلحاق الأطراف الغربيّة بلاعب أصبح قويًا في المنطقة الوسطى (المركزيّة)

إنّ الهيمنة الأميركيّة ضرورة لاستقرار العالم، فمسؤوليتها لا مثيل لها، ولكنّها لن تستمرّ إلى الأبد، لذا يجب إيجاد ظروف تطيل هيمنتها إلى اقصى أمد ممكن، وعليها الحفاظ على الشراكة الأطلسيّة، وتقويتها لتحمي رأس الجسر الأوروبيّ، وعلى الاتّحاد الأوروبيّ أن يمتدّ إلى الشرق.

وستكون ألمانيا على المدى المتوسّط حليفًا ناجحًا أكثر من فرنسا.

أمّا روسيا فيجب عدم دفعها إلى الفوضى، أو إلى ديكتاتوريّة تسيطر على إمكاناتها الهائلة، ويجب الانتباه لأوكرانيا وأذربيجان، اللتين تسيطران على مداخل البحر الأسود وبحر قزوين، اللذين يجب منع روسيا من أن يكون لها فيهما موطئ قدم!

أمّا البلقان فهي منطقة فارغة وفيها مكامن الهيدروكاربون، يجب أن تعمل الولايات المتّحدة على تهدئة هذه المنطقة دون أن تسمح لتركيا أو لإيران أو لغيرهما بالهيمنة فيها، وينطبق هذا الأمر بالضرورة على الشرق الأوسط.

أما اليابان فليست لاعبًا جيوبوليتيكيًا حقيقيًا كالهند والصين في المنطقة. لذا فإنّ كوريا الجنوبيّة تشكّل المحور pivot الجيوبوليتيكيّ. ووجود أميركا فيها يشكّل مظلّة لحلفائها، بما فيهم اليابان، التي تمنعها أميركا من امتلاك قوّة عسكريّة خاصّة تهزّ الاستقرارات الإقليميّة.

وبالنتيجة يجب أن تمارس أميركا استراتيجيّة "فرّق تسد"، دون الوصول إلى إحداث صراعات جيوبوليتيكيّة قويّة تضرب الاستقرار الضروريّ لازدهارها.

لكن، "بما أنّ القوّة الأميركيّة غير المسبوقة آيلة إلى التراجع على مرور السنين، فالأولويّة الجيوستراتيجيّة هي اذًا بإدارة صعود القوى العالميّة الجديدة بحيث لا تشكّل خطرًا على النفوذ الأميركيّ".

"إنّ أوروبا أوسع تسمح بزيادة مدى التأثير الأميركيّ (....) أوروبا ربّما تصبح في مدى ما دعامة حيويّة لبناء كبير من الأمن والتعاون موضوعة تحت الرعاية (égide) ّوممتدّة إلى كلّ أوراسيا (...) وتبقى أوروبا الغربيّة، إلى حدّ كبير، محميّة لأميركا، التي عليها أن تذكّر دولها بما كان في الإمبراطوريّات القديمة: " Les vassaux[10] et les tributaries[11].

---

[10] الـ vassal كان شخصًا يرتبط شخصيًا في النظام الإقطاعيّ بالسيّد الإقطاعيّ الذي يتنازل له عن ملكيّة يتملكها بشكل فعليّ.

ويؤكّد بريجنسكي أنّ "في العرض الراهن يمكن أن نميّز على الخارطة الجديدة الجيوبوليتيكيّة لأوراسيا، على الأقلّ، خمسة فاعلين جيوستراتيجيّين، وخمسة محاور pivots جيوبوليتيكيّة (...): فرنسا، ألمانيا، روسيا، الصين، الهند. وهؤلاء فاعلون من الدرجة الأولى، في حين أنّ بريطانيا، اليابان، إندونيسيا، وهي بلا شكّ بلدان هامّة جدًا، لكنّها لا تنتمي إلى هذه الفئة. وأوكرانيا، أذربيجان، كوريا، تركيا، إيران، تشكّل محاور جيوبوليتيكيّة مفصليّة[12].

يلاحظ بريجنسكي أن القوّة الشاملة للولايات المتّحدة مهيمنة في أربعة قطاعات: الاقتصاد، الميدان العسكريّ، التكنولوجيا، الثقافة، إلى درجة أن لا أحد ينافسها. ولتعزيز هذه الهيمنة، يؤيّد بريجنسكي دورًا للقوّة العسكريّة (pouvoir de projection) للسيطرة على مصادر الطاقة. من هذا المنظور (وكان منظور "عقيدة كارتر" لسنة 1980). عُدَّ البترول، لا مصدرًا للثروة وحسب، بل مصدرًا للسلطة/القدرة، يجب منع وصوله إلى منافسين احتماليّين (أو من يكونون قادرين على ذلك، والأمر في الحالتين هو نفسه). هؤلاء المنافسون المحتملون هم "الفاعلون الجيوستراتيجيّون من الدرجة الأولى"... وهم روسيا، الصين، الهند، الاتّحاد الأوروبيّ. وهذا من جملة ما يدفعها إلى الهيمنة على نفط الخليج.

ويرى بريجنسكي أنّ الصين وهي قلب العالم Heartland الجديد، ستكون الأصعب في عملية الإعاقة، بسبب كتلتها وإرادتها وخصوصيّتها. فبكين هي "الآخرى" في الاستراتيجيّة الأميركيّة، هي العدوّ الذي يبرّر جهود أميركا في أوراسيا.

أميركا ومواجهة الصين وقوى أخرى صاعدة

ومن هنا أصبح الاهتمام بمواجهة الصين أولوية أميركية طاغية، وهي تعمل الآن من أجل التواجد القوي في المحيط الهادئ وفي بحر الصين. وهذا ما يعدل في الجيوبوليتيك الأميركي القائم على نظريات قلب العالم أو حفافي العالم لتشمل الصين التي هي من الحفافي الملاصقة للقلب، ما يدفع إلى الجمع بين النظريتين، كي يستمر حصار روسيا ويضاف إليه حصار الصين.

وإلى هذا، ربما أتى المستقبل بقوة الهند، وقد أصبحت دولة نووية.

ثم سيطرح ما تمثله إيران-الثورة الإسلامية، لا سيّما بعد إن تجاوزت حدودها الجغرافية إلى محيطها وصولًا إلى البحر الأبيض المتوسط، فإذا ما انتقلت استراتيجيًا من الدفاع الاستراتيجي

---

[11] الـ tributaries كان الشخص الذي كان يدفع الضريبة للإقطاعيّ، وهو أدنى مرتبة في التراتبيّة من الـ vassal في عصر الأقطاع.

[12] المراجع نفسه ص 69.

إلى الهجوم الاستراتيجي، فستربك الجيوبوليتيك الغربي من جديد، خصوصًا وأن ما تمثله من محور الراهن، وفي المستقبل أيضًا، سيكون له دور كبير لا يقل عن دور قوة كروسيا مثلًا.

بين نهاية التاريخ وصدام الحضارات

كان بعض المحلّلين يرون أن العالم، بعد الحرب الباردة، سيكون عالمًا سلميًا، وقد طرح **فرنسيس فوكوياما**[13] نظرية "نهاية التاريخ". ولكنّ هذه النهاية لم تكن تعني أنّ الزمن سيتوقّف مستقبلًا، ولكن أنّ كلّ ما سيحصل لن يضع التفوّق الشامل عالميًا للنموذج الدمقراطيّ الليبراليّ موضع إعادة نظر، فذلك النموذج، المنبثق من الثورة الفرنسيّة، شكّل الحلّ لمشكلة التاريخ، وكلّ البدائل التي طرحت وستطرح مستقبلًا لن تكون إلاّ مواربات "detours" ستتخلّى عنها الإنسانيّة.

ويمكن أن نرى في هذا الأمر ردًا على الفكر الشيوعيّ الذي يقول إنّ الصراع الطبقيّ سيتوقّف عند قيام المجتمع الشيوعيّ، وسيكون هذا النظام هو النظام النهائيّ في العالم. وعبارة "نهاية التاريخ" مستمدّة، بشكل غير مباشر، من هذه الفكرة.

في مقابل هذه النظرية يرى **صاموئيل هنتنغتون** Samuel Huntington **(1927-2008)** أنّ هناك نزاعات قائمة على خصومات متعلّقة بالهويّة. ويؤكّد أنّ سقوط الاتّحاد السوفياتيّ هو نهاية تاريخ، وليس نهاية التاريخ. والعولمة ليست مرادفًا للسلام، بل على العكس، لأنّها تقيم تماسًا بين مختلف أجزاء الأرض، وستضاعف مخاطر الاحتكاك، وبالتالي النزاعات فيما بين هذه الأجزاء.

انتصار الهويّات على الأيديولوجيا:

إنّ القراءة الأيديولوجيّة للنزاعات التي فرضتها الحرب الباردة أصبحت مهملة، ويُركّز هنتنغتون على عامل الحضارة في التاريخ، فـ"التاريخ البشريّ هو تاريخ الحضارات" والتاريخ مرّ بثلاث مراحل:

---

[13] يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما: ولد 27 تشرين الأول 1952 عالم وفيلسوف واقتصادي سياسي، مؤلف، وأستاذ جامعي أميركي. اشتهر بكتابه نهاية التاريخ والإنسان الأخير الصادر عام 1992 والذي جادل فيه بأن انتشار الديمقراطيات الليبرالية والرأسمالية والسوق الحرة في أنحاء العالم قد يشير إلى نقطة النهاية للتطور الاجتماعي والثقافي والسياسي للإنسان..

مرحلة أولى كانت فيها الحضارات منطوية على نفسها، وغالبًا تجهل الواحدة منها الأخرى، فالاتّصالات كانت نادرة.

في العصر الحديث (بدءًا من القرن 15) حصل منعطف كبير، إذ انطلق الغرب المسيحيّ وتجاوز بديناميّته كلّ الحضارات الأخرى، وتكثّفت الاتّصالات بين الحضارات، لكن باتّجاه واحد من الغرب باتّجاه الآخرين.

في القرن العشرين، عهد جديد، في العلاقات بين الحضارات، إذ راح الغرب يفقد تفوّقه شيئًا فشيئًا، فيما بقيّة العالم تصحو.

كلّ الأيديولوجيات الكبرى السياسيّة ذات مصدر غربيّ. وكلّ الأديان الكبرى من أصل غير غربيّ. والآن تتراجع المعارضات الأيدلوجية لصالح الخصومات الحضاريّة، وهذا هو "ثأر اللّه" وهو سابق للأيديولوجيا.

صدام الحضارات

تساهم نهاية التوازن ثنائيّ القطب في اليقظة الشاملة في العالم لنزاعات هويّات نائمة، وتظهر النزاعات المتعلّقة بالهويّة على مستويين:

المستوى المحلّيّ: حروب أهليّة، تطهير عرقيّ.

المستوى العالميّ الشامل، صعود القوى المتعادية حضاريًا، المتجسّدة مثلًا بنجاح الإسلامويّة، وهذا ما يشير إلى انفجار صدام الحضارات.

النظام الحضاريّ الجديد:

يقسم هنتنغتون العالم إلى ثماني ساحات حضاريّة (وكل ساحة هي ذات تموضع جغرافي، الأمر الذي يدخل هذه النظرية في الجيوبوليتيك)، ويرى أنّ كلّ حضارة محكومة بدولة- نواة أو أكثر، وهو يمنح الدول-النوى دورًا مركزيًا في الاستقرار الدوليّ. فهي بالنسبة إلى الحضارة ما كانته القوى العظمى بالنسبة للمعسكرين بالأمس، زعماء يلعبون دور الإدارة والاستقرار. أمّا في الحضارة الإسلاميّة فتغيب الدولة-النواة، ويبدو أن هذا الغياب هو أحد أسباب "حراكها وعدوانيّتها".

ويرى هنتنغتون أنّ الهيمنة الغربيّة ستتلاشى بسبب النقص الديمغرافيّ في السكّان الأصليّين وتدفّق المهاجرين. واقتصاديًا ستزول الهيمنة مع اليقظة الآسيويّة، وستكون الحضارة الصينيّة هي المؤهّلة لتحدّي الغرب، وستحصل على التأثير. ثمّ إنّ الحضارة الغربيّة، وكلّ الأيديولوجيّات ذات المصدر الغربيّ، تتراجع أمام الإسلام، والحضارة الإسلاميّة تنشر

اللااستقرار. "فالإسلام له حدود دمويّة، والصدام الإسلاميّ-الغربيّ سيكون الأعنف، ولكن لن يكون الوحيد، فالإسلام ستكون علاقاته نزاعيّة مع كلّ الحضارات باستثناء الصينيّة، فالاثنتان ستقيمان جبهة مشتركة ضدّ الغرب، حسب المحور الباكستانيّ (الإيرانيّ) الصينيّ.

رد جوزيف ستيغليتز على هنتنغتون

يقول ستيغليتز إنه يجب ألاّ نعتقد أن الأرض تنقسم إلى حضارات متصادمة، كما يؤكد هنتنغتون. فإذا كان هناك حقيقة صدام حضارات على كوكبنا المعولم، فهو ليس جغرافيًا أو عسكريًا أكثر مما هو اجتماعي وفردي. ففي داخل كل مجتمع، وفي عقل كل مواطن، تقوم رؤىً جيوبوليتيكيَّة للعالم وللموارد ولـ "الآخر" موروثة من القديم أو من العصور الوسطى أو من القرن التاسع عشر، أو هي أكثر حداثة، إلى جانب النماذج المختلفة العائلية والهوّيتية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تنبثق منها والتي تتصارع على الحلبة السياسية والثقافية، مؤدية أحيانًا بحروب أهلية.

المركز والهوّة، التدفّق

يرى توماس بارنت[14] 1998- 2004 أنّ "العالم الحاليّ يمكن أن ينقسم إلى منطقتين، من جهة يوجد "المركز" المعلوم والعامل كشبكة ويجمع الدول المتقدّمة. ومن جهة أخرى هناك "الهوّة" المنفصلة التي تبتلع البلدان النامية، ما يخلق العنف والإرهاب والحقد. فعلى البنتاغون أن يمنع شبكات الإرهاب من أن تصل إلى المركز، معتمدًا على الدول المحيطة بالهوّة، وذلك بإقامة علاقات خاصّة واتفاقات عسكريّة مع هذه الدول[15].

ويرى بول كلافال[16] استبدال مفهوم أهميّة الأرض بمفهوم أهميّة التدفّق flux، تدفّق الموادّ والطاقة والمعلومات، في ظلّ الأسلحة الحديثة. أما كيسنجر فيرى (Patriotisme économique: intelligence économique) أنّ هيمنة قوّة واحدة على إحدى دائرتي

---

[14] توماس بي إم بارنيت: مواليد 1962، خبير جغرافي أميركي عسكري وكبير المحللين السابقين في ويكيسترات. طوّر الجغرافيا السياسية التي قسمت العالم إلى "العنصر الأساسي" و "الفجوة غير المتكاملة" التي جعلت منه بارزًا بشكل خاص قبل الغزو الأميركي للعراق عام 2003 عندما كتب مقالًا عن إسكوايز لدعم العمل العسكري.

[15] Bibliographie choisie: Olivier zajec, les catégories spatiales de l’action militaire.

[16] بول كلافال جغرافي فرنسي ولد سنة 1932 في Meudon من أعالي السين، حاضر لمدة طويلة في جامعة باريس الرابعة-السوربون. كاتب غزير الإنتاج، كانفي الستينيات من رواد أبستمولوجيا العلوم الجغرافية.

أوراسيا- أوروبا أو آسيا- ما زالت تشكّل الخطر الاستراتيجيّ على أميركا، بحرب باردة أو بدونها.

الجيوبوليتيك الروسيّ[17]

كان هاجس روسيا الدائم هو الوصول إلى المياه الدافئة. ودائمًا ما كانت السيطرة على البحر الأسود، وهو من البحار الدافئة، للوصول إلى البحر المتوسّط ذات أهميّة قصوى بالنسبة إلى الروس.

في نهاية الألف الأوّل الميلاديّ كان البحر الأسود منطقة متوسّطة بين الشمال والجنوب، وكانت تسمح لـ "الويكنغز[18]" بالتجارة مع القسطنطينيّة التي كانت مركزًا تجاريًا في ذلك الوقت. وفي نهاية القرن السابع عشر راح بطرس الأكبر يحاول إعادة استغلال ساحل البحر الأسود. لكنّ الصياغة الحقيقيّة لمشروع طموح تعود إلى كاثرين الثانية. فهي أرادت السيطرة على مدن جديدة، ومنها سيفاستوبول، لتأكيد هويّة الإمبراطوريّة والسيطرة على إسطنبول وجعلها نوعًا من القسطنطينيّة الأرثوذكسيّة. كما كان من الضروريّ السيطرة على مضائق البوسفور والدردنيل الخاضعين منذ ذلك الحين لاتفاقيّة مونترو عام 1936 لاستثمار البحر الأبيض المتوسّط.

هزيمة سيفاستوبول في عام 1855

تقع سيفاستوبول في شبه جزيرة القرم وتطلّ على البحر الأسود، ويرابط فيها اليوم أسطول البحر الأسود الروسيّ. وقد تعرّضت للحصار عام 1855 من قبل قوى غربيّة، من أجل منع روسيا من السيطرة على البحر الأسود ومن ثمّ الوصول إلى المتوسّط.

فقد تحالفت بريطانيا العظمى، التي كانت تريد المحافظة على الطريق إلى الهند، مع العثمانيّين لحصار المدينة، فهزمت روسيا.

تركت هزيمة سيفاستوبول جرحًا عميقًا في الذاكرة الجماعيّة للروس، الذين تحوّلوا إلى آسيا للوصول إلى البحار الدافئة (باكستان وإيران) مع دولة عازلة هي أفغانستان "إلاّ أنّه، منذ

---

[17] Cf. Marc Guéret : Russie : l'enjeu géopolitique de la Mer Noire se cache derrière le conflit en Crimée Blasting News France International 13 mars 2015.

[18] الويكنغز: شعوب جرمانية نوردية وغالبًا من ملاحي السفن وتجار ومحاربي المناطق الإسكندنافية الذين هاجموا السواحل البريطانية والفرنسية وأجزاء أخرى من أوروبا من أواخر القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر (793-1066).

خمسينيّات القرن الماضي، حوّل الاتّحاد السوفياتي (وروسيا قلبه) شبه جزيرة القرم إلى "حصن بتركيز عدد كبير من الجنود فيها. لأنّها كانت آخر خطّ دفاع ضدّ الناتو وتركيا".

وهكذا، كان البحر الأسود دائمًا ذا أهميّة حاسمة بالنسبة إلى روسيا. ولم يفعل فلاديمير بوتين في شنّه حرب القرم الأخيرة سوى أخذ شعلة طموح موجود بالفعل منذ قرون..

ولم يكتف الروس بالوصول إلى البحر الأسود بل تجاوزوه إلى البحر المتوسط. ومن هنا تبرز أهميّة الساحل السوريّ بالنسبة إليهم، حيث يتشبّثون بإقامة القواعد العسكريّة عنده.

بالمقابل استمرّ الغرب بقيادة الولايات المتّحدة استمرّ في حصار روسيا والمعسكر الاشتراكي الذي كانت تقوده، فأقام حوله الحلف الأطلسيّ NATO في جزئه الأوروبيّ، وميثاق بغداد CENTO أو منظّمة المعاهدة المركزيّة في الشرق الأوسط المؤلفة من تركيا والعراق وإيران وباكستان، ومنظّمة معاهدة جنوب-شرق آسيا ASIAN، التي شاركت فيها تايلاند، وإندونيسيا، والفلبين، وماليزيا، وسنغافورة.

الجيوبوليتيك الألمانيّ

يستند الجيوبوليتيك الألمانيّ، إلى جانب جدليّة الأرض والشعب، إلى فكرة المدى الحيويّ، الذي يسمح للأمّة الألمانيّة الشابّة بأن تستوعب جميع الشعوب الناطقة بالألمانيّة وذات الثقافة الواحدة، وأن تهيمن على محيطها وتتجاوزه مكوّنة إمبراطوريّة استعماريّة على غرار فرنسا وبريطانيا، وتنشئ أسطولًا حربيًا يمكّنها من دخول المحيطات، ومن أهمّ المنظرين الألمان في هذا الصدد:

[19] Friedrich Ratzel 1844-1904

فردريتش راتزل المعاصر لماهان، الذي لاحظ منذ 1876 أنّ القوّة الفتيّة الأميركيّة، المحميّة بمحيطين، موعودة بمصير مشرق نتيجة المساحات اللامتناهية المتاحة لديناميّتها، وعقليّتها الرائدة. وقد توصّل من أعماله الإنتربوجغرافيّة والجغرافيّة البشريّة اللاحقة إلى استنتاجات متينة فيما يخصّ ملاءمة توسّع إقليميّ لبلده ألمانيا، وهي في الوقت عينه شعب قديم وأمّة شابّة. في ذلك القرن التاسع عشر كانت أوروبا تفيض عن حدودها على العالم

[19] فريدريك راتزل: 30 آب 1844 / 9 آب 1904) عالمً جغرافيً وعالمً دراسة الأجناس والسلالات الإثنوغرافيا، عرف باستخدامه مصطلح ليبنسراوم.

كلّه" معتمدة على قوّة أسلحتها والتقدّم الهائل لتقنيّاتها ووسائل الاتّصال التي عرفت كيف تطوّرها. آنذاك برزت قوّتان عظميان هما أوّلًا: فرنسا والمملكة المتّحدة، ذواتا التاريخ الدولتي (étatique) القديم والثابت، وستتمتّعان قريبًا بإمبراطوريّة استعماريّة خطيرة، ثم ألمانيا التي توحّدت حديثًا (سنة 1870) بحرب منتصرة ضدّ فرنسا، وتريد أن ترتفع إلى مستواهما. ولا سيّما قوّتها الصناعيّة وشعبها الكبير هما عاملا قوّة يجب أن تجد مجالًا وامتدادًا إقليميًا على قدرهما. لذا كان راتزل يساعد بلاده بتوجيه اهتمامها نحو آسيا، كاشفًا عن إمكانات تجاريّة هامّة للمستقبل.

في سنة 1901 وضع راتزل كتابه "المجال الحيويّ دراسة بيوجغرافيّة". l'espace -vitale

الذي يرى فيه أنّ الدولة هي جسم تتّصل به حياة الشعب بثبات الأرض، وهذه الصلة تتقوّى بشكل متبادل، بحيث لا يشكّل الشعب والأرض سوى واحد، ونحن لا نستطيع أن نعقل الواحد دون الآخر. إنّ كلّ دراسة للإنسان لا يمكن إلاّ أن تكون جغرافيّة، لأنّ الإنسانيّة قطعة من الكرة الأرضيّة. فلا يمكن دراسة الإنسان إلاّ إذا أخذنا بالحسبان الوسط الطبيعيّ الذي يمارس فيه نشاطه، دون أن يكون عبدًا للشروط الطبيعيّة (ففكره ليس حتميًا). يجب أن نأخذ بالحسبان تأثير اعتبارات المدى spaciales على الأفعال السياسيّة. من هنا تبدأ مسيرة الجيوبوليتيك.

فالدولة ترتكز على أخذ الروابط التي توحّدها مع شعب وفضاء (espace) بالحسبان، ويؤثّر موقعها في تطوّر الحدود والصراع مع الجيران، وبهذا المعنى فإنّ للموقع تأثيرًا جيوبوليتكيًا. والدولة بانحصارها تكون مهدّدة من جميع الجوانب، فعليها أن تحيط نفسها بفضاءات حاجزة tampon، كي تحمي قلبها الاستراتيجيّ، كألمانيا في أوروبا، التي يجب أن تكون الفضاءات المحيطة بها مأهولة بالألمان. وفي العصر الاستعماريّ فإن دولة لا تتمدّد هي دولة في تقهقر، فهو يفضّل التوسّع في المحيط، ويطالب بدور لبلاده في المحيطات Océans. لذا يجب عليها أن تنشئ أسطولًا بحريًا قويًا، وأن تقيم وراء البحار نقاط ارتكاز استراتيجيّة على النطاق الكونيّ.

إنّ أيّ شعب يجب ألاّ يبقى مجمّدًا على أرض واحدة بأجياله كلّها، بل يجب أن يتمدّد لأنّه يتكاثر، وهذه الحركة لا تني تعيد النظر بتقطيع الأرض الذي أقامه الإنسان[20].

وهكذا، فلمّا كانت الدولة كالكائن الحيّ، وبما أنّ الكائن الحيّ ينمو فيكبر فتضيق ملابسه فيضطرّ لتوسيعها، كذلك الدولة ستضطرّ إلى توسيع حدودها السياسيّة وزحزحتها كلّما زاد عدد سكّانها وتعاظمت طموحاتها، فحدود الدول حدود زئبقيّة قابلة للتوسّع والانكماش

[20] Bibliographie choisie : F. Ratzel, le sol, la société et l'Etat 1900, et l'espace vitale, 1901.

ويجب على الدولة دائمًا أن تحافظ على رغبتها في التوسّع لأنّ أيّ تراجع أو انكماش يجعلها عرضة للالتهام من قبل دول أخرى أقوى (البقاء للأقوى).

ولكي تنمو الدولة وتتطوّر حدّد راتزل سبعة قوانين أطلق عليها "قوانين تطوّر الدول" وهي:

1. أنّ رقعة الدولة تنمو بنموّ الحضارة أو الثقافة الخاصّة بالدولة.
2. يستمرّ نمو الدولة إلى أن تصل إلى مرحلة الضّم بإضافة وحدات أخرى.
3. حدود الدولة هي التي تحميها ولا بدّ من الحفاظ عليها.
4. تسعى الدول في نموّها إلى امتصاص الأقاليم ذات القيمة السياسيّة.
5. الدافع للتوسّع يأتي من الخارج.
6. الميل العامّ للتوسّع ينتقل من دولة إلى أخرى ثم يتزايد ويشتدّ.
7. نموّ الدولة عمليّة لاحقة لنموّ سكانها.

Rudul kjellén 1864-1929 [21]

رودولف كيلين هو عالم سياسة سويديّ منحاز إلى ألمانيا. يكتفي كيلين بملاحظة أنّ الأرض هي موطن للجماعات البشريّة على نحو عامّ، ويلحّ لذلك على دور الحدود "الطبيعيّة" في الدفاع عن الدول، فـ"البلد أو الدولة" "الطبيعيّان" لهما إقليم طبيعيّ وحدود طبيعيّة، والأمّة أو الشعب الطبيعيّان يتمتّعان أيضًا بتضامن وبحياة منفصلة عن الآخرين". والقوّة البحريّة هي أساسيّة استراتيجيًا.

يجمع كيلين بقوة بين الجيوبوليتيك والإتنوبوليتيك موكدًا على عوامل التلاحم الثقافيّ للدولة.

انطلق كيلين، كراتزل، من فكرة أنّ الدولة كائن عضويّ لكنّه متطوّر وليس ثابتًا، وشبّه البناء العضويّ للدولة بالبناء العضويّ للكائن الحيّ، فالأرض بالنسبة للدولة هي الجسد وعاصمتها بمثابة القلب والرئتين، أمّا الأنهار والطرق وسكك الحديد فهي بمثابة الأوردة والشرايين للدولة، في حين أنّ المناطق تعدّ المصدر الذي يمدّها بالمعادن والموارد الأوليّة اللازمة لنموّها، والأفراد داخل الدولة هم الخلايا عند الكائن الحيّ والعامل المحرّك للدولة. وقد اتّفق كيلين مع راتزل كذلك على أنّ الهدف النهائيّ لنموّ الدولة هو تحقيق القوّة The

[21] يوهان ردولف كيلين حزيران 1864 - 14 تشرين الثاني 1922 عالم سياسي سويدي. وهو أول من صاغ مصطلح "الجغرافيا السياسية". تأثر عمله بفريدريك راتزل. وضع كيلن جنبا إلى جنب مع ألكساندر فون همبولت، كارل ريتر، وراتزيل، الأسس اللازمة للجيوليتيك الألماني الذي سيتبناه فيما بعد الجنرال كارل هوشوفر.

power، وقرّر أنّ الدولة تتكوّن من خمسة عناصر: الحكومة، السكّان، والأحوال الاجتماعيّة، والمركّب الاقتصاديّ والمركّب الطبيعيّ، والقانون الطبيعيّ يفرض حتميّة النموّ البيولوجيّ للدولة. هذا النموّ الذي يؤدّى بها للنزاع الذي لا ينتهي إلاّ بمعادلة صفريّة تؤدّي إلى أفول الدولة الأضعف لصالح الدولة الأقوى.

Karl Hanshofer (1896- 1946)[22]

أسّس الضابط الألمانيّ كارل أرنست هاوزهوفر مدرسة جديدة في ميونخ تعنى بدراسة الجيوبوليتيك ووضعها في خدمة النازيّة.

كان هاوزهوفر يؤيّد نظريّة راتزل في المدى الحيويّ بالنسبة إلى ألمانيا، التي يجب أن تصل إلى الكفاية الاقتصاديّة، بعد أن أصيبت بأخطر أزمة اقتصاديّة سنة 1929. وهو يدافع أيضًا عن الثقافة الألمانيّة وعن اجتماع كلّ الشعوب الناطقة بالألمانية مع ألمانيا (سوديت، الزاسيّون، سيليزيّون، نمساويّون).

ويطرح هاوزهوفر نظريّة les pan-ideens، التي تقول إنّ كلّ منطقة خاضعة لدولة مهيمنة، وتوزّع مسؤوليّات العالم على أربع مناطق نفوذ وقوى مكتفيّة ذاتيًا: ألمانيا في أوروبا وأفريقيا والشرق الأوسط (أورازيسم)، روسيا في آسيا (بان آزيالتيسم)، اليابان في الشرق الأقصى (بان آنزيانيسم)، الولايات المتّحدة في أميركا (بان أميركانيسم).

سنة 1937 أصدر هاوز هوفر كتاب "البحار والقوى العالميّة"، الذي رأى فيه أن البحار حاملة قوّة (حسب نظرية راتزل).

كان لمدرسة ميونخ هدفان جوهريّان في نظرتها إلى العالم:

- الهدف الأوّل السيطرة على روسيا لتأمين الحكم الألمانيّ من التوسّع السلافيّ.
- الهدف الثاني تدمير القوّة البحريّة (في ذلك الحين بريطانيا) لتأمين توسّع ألمانيا في أورواسيا.

---

[22] كارل إرنست هوشوفر :27 آب 1869-10 آذار 1946. جنرال وجغرافي وسياسي الماني، من خلال تلميذه رودولف هيس، أثرت أفكار هوشوفر في تطوير استراتيجيات أدولف هتلر التوسعية، رغم أن هوشوفر نفى التأثير المباشر على ألمانيا النازية. وبموجب قوانين نورمبرغ، تم تصنيف زوجة هوشوفر وأطفاله على أنهم ميشلنج. حصل ابنه ألبرت على شهادة دم ألمانية بمساعدة هيس.

لكن لم تكن الحرب الشاملة في نظره شرطًا لتحقيق ذلك، فقد كان هاوزهوفر ينظر إلى تحقيق اتّحاد أو تحالف ألمانيّ روسيّ باعتباره حجر الزاوية في تكوين الوحدة الأوراسيّة، معتبرًا أنّ الاتّحاد السوفياتيّ هو بداية آسيا. لذلك رأى أنّ أوروبا، بما فيها دول شرق أوروبا (بولندا – تشيكوسلوفاكيا – البلقان)، يجب أن تتّحد تحت زعامة ألمانيا، كي تكون ألمانيا في موقف قوّة حال التفاوض مع الاتّحاد السوفياتيّ، من أجل الاتّفاق معه على مصير أوراسيا.

منطق الفضاءات الكبرى Karl Schmitt[23] (1888-1985) la logique des grands espaces

تقوم نظريّة كارل شمدت على تفسير الحقائق السياسيّة على أساس المدى، من جهة، وعلى فصل الدولتيّ étatique عن السياسيّ، وفهم السياسة خارج النموذج النظريّ paradigme للدولة، من جهة أخرى. فالدولة هي أحد أشكال تعبير السياسة، وهي لم تكن موجودة دائمًا، فيمكن تصوّر عالم دون دول، ولكن لا دول دون سياسة. إنّ الطبيعة الخاصّة بالدولة بصفة كونها آلة أو جسمًا ليست ذات أهميّة، وإذا كان السياسيّ لا ينحصر بالدولة فكيف يعرف؟

إنّ السياسيّ هو ما يؤدّي، في نهاية الأمر، إلى إقامة تمييز بين الصديق والعدوّ (العدوّ العموميّ public لا الشخصيّ). والتمييز هذا هو "تعبير عن الدرجة القصوى للاتّحاد أو للانفصال. إنّه، انطلاقًا من تلاشي الشكل الدولتيّ، يقدّم لزوال الدولة القريب، فما هو النظام الجيوبوليتكيّ البديل؟

إنّه جيوبوليتك الفضاءات الكبرى (تنظير للتوسّع النازيّ)، فهو يتمنّى مجيء "نظام الفضاءات الكبرى في القانون الدوليّ مع منع القوى الأجنبيّة عن الفضاء من أن تتدخّل فيه"، نظام ينهي تقطيع العالم أرضيًا إلى دول، ليحلّ محلّه منطق فضائيّ، بحيث تصبح الأرض مكوّنة من بضع فضاءات كبرى، فضاء كبير المساحة للنفوذ تشعّ فيه قوّة مركزيّة مهيمنة، كالقارّة الأميركية التي تهيمن عليها الولايات المتّحدة. وألمانيا مدعوّة للعب الدور نفسه في أوروبا، ثمّ اليابان واحتماليًا روسيا.

القانون والأرض

بعد هزيمة ألمانيا أصبح كلّ النظام القانونيّ للعصر الحديث ينبع من "الثورة ذات المدى spaciale"، التي شكّلها اجتياح العالم الجديد، ما أدّى إلى اقتسام القوى الأوروبيّة للعالم. وقد ظهرت للأوروبيّين غربة الأميركيّين، التي حفزت أخوّتهم وإعادة فكرة التمييز بين الصديق

[23] كارل شميت: 11تموز 1888 - 7 نيسان 1985. فقيه قانوني ألماني ومنظّر سياسي. كتب شميت عن السيطرة الفعّالة للقوة السياسية. كان لعمله تأثير كبير على النظرية السياسية اللاحقة، النظرية القانونية، الفلسفة القارية واللاهوت السياسي. بقي عمله مؤثرا ومثيرا للجدل بسبب ارتباطه الوثيق والولاء القانوني - السياسي للنازية؛ وهو معروف باسم "القانوني الملك للنازية".

والعدوّ، ما أدّى إلى مجموعة قوانين حول ممارسة الحرب بين الأوروبيّين، وتشكّل المجموعة الحقوقيّة، التي يسمّيها سميث Jus publicum europaeum، لكنّها لا تمارس ما وراء الأطلسيّ، ولا في البحر والمحيطات التي لا تلحق بالأرض، بل تكون مالًا مشتركًا Res Omnium. وحلّ محل قوانين شنّ الحرب الـ jus ad bellum، القوانين في الحرب jus in bello، فكلّ دولة حرّة بأن تشنّ الحرب، وكان هناك مخرج للحرب خلف البحار.

إنّ موقف الحلفاء من ألمانيا، وعدم اعتبارها خصمًا محترمًا، يطيح القانون العامّ الأوروبيّ، ويهدّد بالعودة إلى حالة الطبيعة في زمن المحازبين، والحرب الأهليّة العالميّة ليست لاجتياح أرض، بل لفرض أيديولوجيّات. وهي أشدّ همجيّة من الحرب بين الدول (الهوبزيّة حرب الكلّ على الكلّ) حرب أهليّة عالميّة (1939).

ويرى شميث أن هناك أعمارًا ثلاثة للحرب:

العصر الوسيط	العصر الحديث	العصر الراهن
حرب خاصة	حرب بين الدول	حرب أهليّة عالميّة
حرب مقدّسة	قانون عامّ أوروبيّ	حرب عادلة
فوضى	نظام	فوضى

والحرب الناعمة يمكن أن تعدّ حربًا أهليّة، وإذا كانت في الظاهر حربًا بين دول، فهي في الحقيقة احتكاك بين قوّتين آيديولوجيتين عابرتين للأمم، والدليل وجود مجموعات شيوعيّة داخل الكتلة الغربيّة. والمحازب هو المقاتل غير النظاميّ، ودافعه سياسيّ كتحرير الأرض، وهذا ما يفسّر التمييز بين الدولة والسياسيّ. إنّ صورة المحازب تظهر في المقاتلين الإسبان ضدّ نابليون بعد هزيمة الجيش النظاميّ، على أنّ هذا المقاتل سبقه القراصنة المنفردون. كما جسّده غيفارا في تجاوزه الدولة.

الجيوبوليتيك الفرنسي

مع أنّ السياسيّين والعسكريّين الفرنسيّين بدأوا رحلتهم الاستعماريّة باكرًا وكانت حملة نابوليون على مصر واحتلال الجزائر، ثمّ احتلال باقي دول المغرب العربيّ، ثمّ سوريا، إلاّ أنّ مفكّرين فرنسيّين، وسويسريين، ضدّ الجيوبوليتك لأنّه علم استعماريّ. لكنّ المفكّرين الفرنسيّين عدّلوا موقفهم. وراحوا يردّون على ادّعاءات الألمان الطامعين بأرض يعدّها الفرنسيّون فرنسيّة: الإلزاس واللورين. ومن أبرز الفرنسيّين في هذا المجال:

Vidal de la Blache (1845- 1918)

يروّج فيدال دو لا بلاش للتحليلات المحليّة بدلًا من الديناميّات العاديّة الكبرى. فهو يرى أنّ المكان (le milieu) يؤثر في الإنسان، ولكنّ الإنسان يفعل بالمكان. إنّ المكان يحدّد شيئًا يجعل الأمور ممكنة، وعلى الإنسان أن يجسّد هذه الإمكانيّة.

إنّ الطبيعة تفرز الرجال بشكل أعمى، ولكنّها تحفزهم ليثبتوا إبداعًا، ليتكيّفوا مع إكراهاتها (لاحظ الاختلاف عن الألمان).

Jacques Ancel 1882-1943 [24]

كان جاك أنسيل مع الدراسة المناطقيّة ضدّ الأحلام الإمبراطوريّة للألمان. ففي مواجهة الجيوبوليتيك الألمانيّة المخصّصة لبلورة قوانين جغرافيّة كما لو أنّها دائمًا متّفقة صدفة مع الطموحات الألمانيّة، يطرح أنسيل "الجغرافيا السياسيّة". وهي، نظريًا، بالتأكيد أقلّ طموحًا، لكنّها أكثر دقّة في مسيرتها التحليليّة القائمة على دراسات حالات ملموسة.

يرفض أنسيل فكرة "الحدود الطبيعيّة"، التي تفرضها الطوبوغرافيا على الناس. وهو يرى أن الحدود تنتج عن توازن واضح وعلميّ يفرض نفسه تدريجيًا بين مجتمعَين، إنّه خطّ التوازن السياسيّ. وهو، بتعريفه، نتيجة مؤقّتة دائمًا للتوازن الحاصل جرّاء تلاقي قوّتين متناقضتين.

Jean gottmann-1915-1994 [25]

كان جان غوتمن يساند قوميّات العالم الثالث، لكنّه أصبح، وبنفس الحماس، يساند قوميّات العالم الأوّل (أوروبا الغربيّة وأميركا الشماليّة=القوى الإمبرياليّة).

يشدّد غوتمان على أنّ موقع البلد وتنظيمه، وليس مساحته، هما ما يعطيانه القوّة. وفكرة المحور الأَولى هي أن يقام على أساس المناطق الساحليّة، لكن ليس كما يرى سبايكمان (الريملاند التي تهدف إلى السيطرة على الكتلة القاريّة الأوراسيّة)، فهو يرى أنّ الطابع

---

[24] ولد في بارمان في السين وواز بـ 12 تموز 1882، في عائلة يهودية استلمت عدة مناصب وزارية في السنوات 1900، بعد الحرب العالمية الأولى أصبح واحدًا من أكبر الاختصاصيين في قضايا الشرق وقد تولى التدريس في الكوليج دي فان وبيروت، ثم في الليسيه شابتال وفي معهد الدراسات العليا الدولية في جامعة باريس والسوربون حيث انتخب أستاذًا محاضرًا سنة 1938.

[25] جان غوتمان: جغرافي فرنسي واضع مصطلح المدن العملاقة. ولد في 10 تشرين الأول 1915 في كاكوف (أوكرانيا) في عائلة يهودية بمساعدة من مؤسسة روكفلر لاجراء دراسات حول "مناطق الحضارة الأوروبية". ثم عاد إلى الولايات المتحدة، وتابع تدريسه حول القارّتين (واجتاز القارة القطبية 23 مرة بين 1947 و1961 ...).

الاستراتيجيّ يتأمّن بالسيطرة على التدفّق المادّيّ والبشريّ بين المناطق (البلقان-أوروبا الغربيّة)، على رؤوس في البحر لا على المناطق خلف الساحليّة. وما يعطي قيمة للإقليم هو قدرته على الدخول والحصول على التبادل.

إنّ الأقاليم الاستراتيجيّة الحقيقيّة هي المناطق الفصّالية Charnières[26]، القادرة على وصل العلاقات القارّيّة بالمحيطيّة، والمثال هو تجمّع المدن: السكّان، الصناعات، المرافئ. فالغنى يقوم في ساحل الأطلسيّ للولايات المتّحدة من بوسطن إلى واشنطن.

ويضيف إلى ذلك ضرورة توفّر مدوّنة corpus ايديولوجيّة تصنّف أعضاء الجماعة السياسيّة حسب انتماء مشترك، وتسمح بوضع الحدود بين "نحن" و"الغير".

معرفيًا: يرى وجوب إعادة الاعتبار للبعد السياسيّ، كما البعد التاريخيّ والاجتماعيّ للجغرافيا، وهو أعاد الاعتبار إلى مصطلح الجيوبولتيك لينتشر.

وهو مع منهجيّة تأخذ بالحسبان تعدّد المستويات والعوامل دون الاكتفاء بعامل واحد في التحليل.

العقود الأخيرة والدخول الصينيّ

منذ بداية الثمانينيات راحت تبرز مخاطر تهميش جيوسياسيّ لأوروبا، وهي يمكن أن تتزايد اليوم إذا لم يتم تكييف رد الفعل تجاهها، وتعود أسبابها إلى:

- تركيز الاتصالات على المحيط الهادئ بأكثر من تركيزها على المحيط الأطلسيّ،
- تأثير ذوبان الجليد في القطب الشماليّ نتيجة لتغير المناخ،
- الوصول إلى حقول النفط في الشرق الأوسط، وبناء خطوط أنابيب النفط والغاز، ونقل النفط، وارتفاع استهلاك النفط في الصين (البترول الجغرافيا السياسيّة).

وانضاف إلى هذا العولمة وانهيار العالم وحيد القطب ممّا ضاعف وعقّد الصلات بين كلّ شعوب المعمورة.

في هذه الظروف برزت الصين في العقود الأخيرة قوّة جبارة اقتصاديّة، وبالتالي عسكريّة بالإضافة إلى قوّتها البشريّة، وراحت تحتجز لنفسها مكان صدارة في الخارطة الجيوبوليتيكيّة.

---

[26] الفصّالة بلهجتنا العامّيّة هي قطعة حديديّة تربط باب البيت بقالبه فتجعله متحرّكًا يمكن تحريكه إلى هذه الجهة أو تلك.

وهذا ما لم يعره ماكيندر اهتمامًا كبيرًا، في حين اعتبر سبايكمان الصين جزءًا من منطقة "الحافّة" الملتصقة بالقلب.

وإلى جانب الصين، وبدرجة أقلّ، تبرز الهند بما لها من القوّة العسكريّة والاقتصاديّة والبشريّة.

وهكذا، فالمشهد الجيوبوليتيكيّ العالميّ يشهد اليوم تنافس أربع قوى كبرى، اثنتان منها مزدوجتا القوّة، بريّة وبحريّة (الصين والهند)، الثالثة بحريّة (الولايات المتّحدة) والأخيرة بريّة (روسيا)، على النفوذ والسيطرة، ليس فقط في منطقة الحافّة، بل أيضًا في "القلب العالميّ"، وتضاف إليهما أفريقيا، كما سنرى.

وإذا كانت الصورة القديمة تشمل كلًا من الولايات المتّحدة وأوروبا وروسيا، قوى فاعلة في المشهد الجيوبوليتيكيّ العالميّ، فإن انضمام الصين والهند إلى قائمة هذه القوى الفاعلة العالميّة يزيد تعقيد المشهد العالميّ، بسبب دخول الدول الخمس في تنافس في سبيل السيطرة في منطقتي القلب والحافّة.

لكن الصين لم تكتفِ بالتمدّد في آسيا أو باتّجاه المحيط الهادئ، بل عملت في العقدين الأخيرين على التواجد الفاعل في القارّة الأفريقيّة جنوب الصحراء، حيث أصبحت تنافس أميركا وفرنسا ذات النفوذ الاستعماريّ العريق. وهكذا لم يعد مسرح "اللعبة الكبرى" منحصرًا في وسط آسيا وشرق أوروبا فقط (ماكيندر)، أو الشرق الأوسط وأوروبا وشرق آسيا فحسب (سبايكمان)، أو حتّى الرقعة الشطرنجيّة الأورواسيّة (بريجنسكي)، بل أدخلت إليها أفريقيا. فاكتملت "الجزيرة العالميّة". التي تحدّث عنها ماكيندر. وهكذا أصبحنا أمام مشهد صراعيّ لا يستهدف منطقة الحافّة أو القلب فقط، وإنما أيضًا المنطقة الأفريقيّة.

على أنّ ممّا يميّز الصين من الوجهة الجغرافيّة أنّها في موقع فريدٍ للغاية في الخريطة الجيوسياسيّة العالميّة، فهي تقع على الطرف الأقصى لمنطقة الحافّة (الشرق الأقصى) حيث التفاعل الدوليّ على أشدّه، وعلى المحيط الهادئ الذي أصبح محوريًا وستزداد أهميّته في السياسات العالميّة المستقبليّة، وهي أخيرًا محاذية، من طرفٍ آخر، لعمق منطقة القلب (كازاخستان – منغوليا الداخليّة).

وإذ تعي الصين أهميّة كلّ ذلك فهي تركّز استراتيجيّتها على التوغّل في قلب العالم، وعلى الوصول إلى الخليج والبحر الأبيض المتوسّط وشرق أوروبا. وهي تسعى إلى إحياء "طريق الحرير التاريخيّ".

هكذا تتألّف الاستراتيجيّة الصينيّة من عنصرين متكاملين:

الأوّل بحريّ يتّجه، في الدرجة الأولى، إلى السيطرة على بحر الصين الجنوبيّ، (وهو الموازي أهميّة والمقابل، في شرق آسيا، للبحر المتوسّط)، من هنا فهي تطوّر ذراعها البحريّة، وهو الأمر الذي يشكّل تهديدًا محتملًا للموقع الذي تحتله كل من الولايات المتّحدة واليابان، في المحيط الهادئ وعلى الصعيد العالمي، وستكون له تداعيات على موازين القوى الإقليميّة في شرق آسيا.

والثاني برّي يتكوّن من شعبتين:

الأولى تهدف إلى تعزيز النفوذ الصينيّ في قلب العالم،

والثانية تقوم على تأسيس روابط قويّة مع بقيّة الدول الواقعة في منطقة الحافّة. ولهذه الاستراتيجيّة مظاهر تعبّر عنها بشكل جليّ، منها: التطوّر المتسارع لعلاقات بكين مع كل من دول آسيا الوسطى وباكستان، وكذلك مع إيران والسعوديّة ومصر في منطقة الشرق الأوسط، والاهتمام الكبير بشرق أوروبا واليونان.

وهكذا أصبحت الصين مركزًا جيوبوليتيكيًا قائمًا بذاته. ما فرض تعديلًا في المشهد الجيوبوليتيكيّ العامّ، لا سيّما وأن الصين قوّة مزدوجة، كما رأينا. فهي من أعظم القوى العالميّة البريّة اليوم. كما أنّ أسطولها ينمو بشكل متسارع ما سيمكّنها من أن تتحوّل إلى واحدة من أهمّ القوى البحريّة في العالم.

وهذا ما فرض تعديلًا في الخطط الأميركية القائمة على تطويق روسيا، ودفعها إلى إيلاء اهتمام أكبر للقوة الصينية ودفع الإدارات الأميركية في عهد أوباما ثم في عهد ترامب إلى الاستدارة نحو الصين مع التخطيط لتخفيف التواجد في الشرق الأوسط.

الإرهاب التكفيريّ

الإرهاب التكفيريّ هو عمل منظّم تقوم به جماعات على أنّه جهاد إسلاميّ في سبيل اللّه، يستعدي العالم كلّه بكلّ أديانه، إذًا هو من الناحية الاستراتيجيّة لا علاقة له بالجيوبوليتيك. إلاّ أنّه من الناحية التكتيكة يستهدف العدوّ القريب أولًا. من هنا فإن ميدان عمله هو البلاد

الإسلامية الممتدّة من المحيط الأطلسيّ غربًا حتّى المحيط الهادئ شرقًا، والمواجهة لأوروبا عبر البحر المتوسّط والمحاذية لآسيا الوسطى وصولًا إلى الجزر على مشارف أوقيانيا.

وهكذا فقد شنّ التكفيريّون نشاطًا عسكريًا على نطاق واسع، بدأ في أفغانستان والشيشان والجزائر ومصر، ثم انتقل إلى اليمن ودول الساحل الأفريقيّ، واستولى على أجزاء واسعة من العراق وسوريا.

ولم تكن عمليّاته في الغرب سوى ردّات فعل على مشاركات الغرب في قتاله.

أمّا التصدّي للإرهاب فقد جرى باحتلال الولايات المتّحدة الأميركيّة وحلفائها لأفغانستان، ثمّ العراق، ثم بنزولها في سوريا، وفي تدخّل فرنسا في بعض دول الساحل الأفريقيّ، وذلك بعد، أو بالتزامن مع، إقامة القواعد العسكريّة في الخليج. ما أثبت أنّ الهدف كان:

من جهة أولى نوعًا من القتال ضدّ الإرهاب التكفيريّ (القتال الاستيعابيّ) لإضعافه ثمّ استخدامه،

ومن جهة ثانية إحكام السيطرة على مصادر الطاقّة، لا في سبيل إدامة تدفّقها إلى دول أوروبا المحتاجة إليها فقط، بل من أجل التحكّم بها بالتمكّن من منع تصديرها إلى بعض البلدان كالصين وربّما إلى غيرها[27]، عندما ترى أميركا ضرورة ذلك، أو بمنع تصديرها كليًا من بعض البلدان المحاصرة كإيران.

ومن جهة ثالثة، وربّما كان هذا هو الأهمّ، السيطرة على منطقة الشرق الأوسط، في الموقع الذي يتوسّط آسيا وأفريقيا وأوروبا، ومحاصرة طريق الحرير والمصابّ الحاليّة أو المحتملة لأنابيب البترول الموجّه شرقًا وحتّى غربًا، كما صرّح بذلك استراتيجيّون أميركيّون، كما رأينا، إضافة إلى مضايقة روسيا حيث وصلت إلى المياه الدافئة، وحرمان بعض الدول المحاصرة، وخاصّة الصين، من النفط عند الضرورة.

انعكاسات الجيوبوليتيك وتطوراتها

أثارت نظريّات الجيوبوليتيك بعد الحرب العالميّة الأولى، ثم بعد الحرب العالميّة الثانية، موجات من الأفكار، فقد أخذ المفكّرون يطرحون نظريّات نقديّة ونظريّات تهجينيّة اقتصاديّة واجتماعيّة... على النحو الآتي:

---

[27] كدول الاتحاد الأوروبي، كما صرّح بريجنسكي نفسه أنظر ص 18.

Gearóid tuathail [28] (1962-...) الجيوبوليتيك النقديّة، الجيوبوليتيك بين المعرفة والقدرة (السلطة):

يأتي جيرار تواثايل في خطّ النقد الفرنسيّ، ويرى أنّ "الجغرافيا تشمل القوة" (لاحظ فوكو: جدليّة السلطة-المعرفة). يقول تواثايل إن الجيوبوليتيك هي "مجموعة من التقنيّات تتّصل بإنتاج إدارة حكوميّة للفضاءات الأرضيّة: هي "geo-power" تضع الفضاء في أنظمة إمبرياليّة من الحقيقة والوضوح، أكثر منها دراسة تتّخذ السياسة موضوعًا لها. الجيوبوليتيك هي بذاتها موضوع سياسيّ مخرّب بقدر ما يدّعي الموضوعيّة. ويمكن أن يوجّه إلى الجيوبوليتيك ثلاثة مآخذ، فهي:

1. تتناول جهاز الدول بعبارات مختارة (دولة مارقة....).
2. تبرّر بواسطة الأبحاث والدراسات السياسات الواقعيّة التي تمارسها الدولة.
3. تحوّر الجيوبوليتيك الشعبيّة مخيّلات الشعوب.

وهي ميتاجيوبوليتك، أي خطاب على الجيوبوليتيك، وهي تنفي السياسة والجغرافيا. فهي نظرات أحاديّة الجانب تخصّ التراكيب في الجغرافيا الحقيقيّة: هيرتلاند، ريملاند.

وهي تدعي نفيًا للسياسة، إذ تفسّر بضرورات طبيعيّة مدّعاة، سيرورات سياسية (توسّع إمبرياليّ، حروب) يتّخذها البشر، لا تفرضها الطبيعة.

الجيوبوليتيك النقديّة تبدأ، بشأن وضع جيوبوليتيكيّ معيّن، بالتساؤل حول بنائه، لا حول تفسيره.

وهي لا تهتمّ بالحدود وبالإقليم وبالدولة، بقدر اهتمامها بكيفيّة الخطاب المنشور حولها. إذًا هي ليست جيوبوليتيك بل خطابًا على الجيوبوليتيك، لأنّها تعتقد أنّ الخطابات هي حقائق performatives أي مؤثّرة على الوقائع.

وهي ترى أن الجيوبوليتيك التقليديّة تقوم على ثلاثة محاور متضامنة.

---

[28] جيرارد تول: ولد عام 1962في جمهورية إيرلندا. أستاذ في الحكومة والشؤون الدولية ومدير برنامج الحكومة والشؤون الدولية في معهد فرجينيا للفنون التطبيقية وجامعة الدولة في حرم منطقة العاصمة الوطنية.

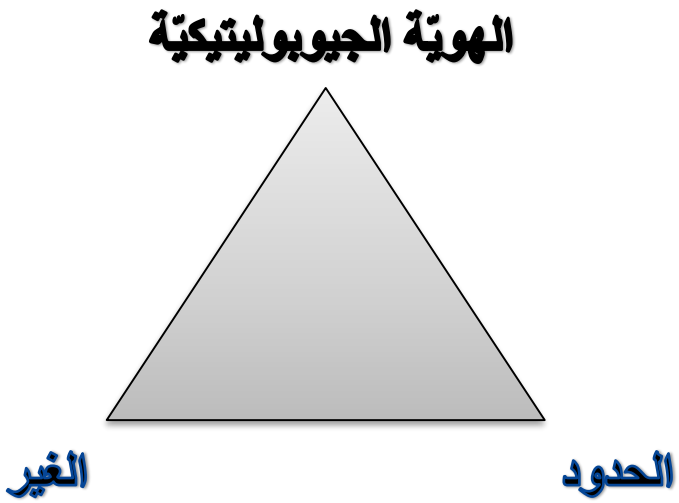

أدوات التحليل الجيوبوليتيكيّ

"إنّ الدور الذي يمكن للدولة أن تؤدّيه يتأثّر على نطاق واسع بالمكان الذي تحتلّه على خارطة العالم[29]. مثال السعوديّة التي تسدّ عليها اليمن وعمان إمكانيّة الوصول إلى المحيط الهنديّ، لذلك هي تتعامل مع اليمن بطريقة خاصّة.

إدوارد لوتواك (1942-...) [30] Edward Luttwak : من الجيوبولتيك إلى الجيو إيكونوميك

يطرح إدوارد لوتواك الحرب الاقتصاديّة بدلًا من العسكريّة، ويرى أنّه ما دامت الأسلحة النوويّة فقدت من أهميّتها، ولم تعد الحرب بين الدول الكبرى محتملة، فما جدوى سباق التسلّح؟ لقد بقي الاقتصاد بديلًا للسلاح. فالأقوى اليوم ليس الأكثر تسلّحًا ولكن الأغنى، وسباق الدول لم يعد جيوبوليتيكيًا بل جيوإيكونوميكيًا، أي دمج لمنطق قواعد بنية الحرب grammaire العاديّة في الحرب التجاريّة. فقد كانت الأولى تعتمد على الأرض بينما الثانية تعتمد على التشابك.

لكنّ الدولة لا تستطيع التصرّف كمشروع اقتصاديّ عالميّ فهي ستلجأ إلى دعم مشاريعها الرائدة عن طريق تمويل الأبحاث والتطوير. وهكذا تصبح الدول أدوات للفاعلين

---

[29] Pierre Renouvin.

[30] إدوارد نيكولاي لوتواك: (من مواليد 4 تشرين الثاني 1942). عالم سياسي معروف بأعماله في الاستراتيجية الكبرى، التاريخ العسكري، والعلاقات الدولية. يقدم لوتواك خدمات استشارية للحكومات والشركات الدولية بما في ذلك مختلف فروع الحكومة الأميركية والجيش الأميركي.

الاقتصاديّين، وستخوض الدول حروبًا ضروسًا في الجانب الاقتصاديّ. وإذا كانت الحرب الاقتصاديّة قائمة من قبل، فإنّها ستشتدّ بشكل غير مسبوق. وهكذا لم تعد الحروب تجري فقط لأسباب اقتصاديّة، بل وبأدوات اقتصاديّة، وهذا سيعطي دورًا هامًّا للمشاريع.

ويحذّر لوتواك من القوّة الاقتصادية اليابانيّة، ويرى أنّه سيكون مستوى المعيشة في الولايات المتّحدة حتّى 2020 كما هو في العالم الثالث. لذلك يجب وضع برنامج نزع سلاح اقتصاديّ عامّ يقوم على التبادل الحرّ، وإلا فعلى أميركا اللجوء إلى سباق تسلّح اقتصاديّ.

وسائل الجيوبوليتيك الإمبريالي

بعد طرح النظريات يأتي دور تطبيقها. في السابق استخدمت القوة العسكرية، ولكن بعد استفاقة الشعوب وإجبارها جيوش الاحتلال على الانسحاب من المستعمرات لم تنتهِ أطماع الإمبرياليين، بل عمدوا إلى وسائل أخرى للسيطرة على مقدرات الشعوب ونهب خيراتها.

الاستعمار وحركات التحرّر

حركات التحرّر هي حركات ثوريّة مسلّحة في الغالب، أتت ردّة فعل على استعمار القوى الكبرى الأوروبيّة والآسيويّة لمناطق واسعة ودول متخلفة اقتصاديّة وضعيفة من حيث الإمكانيات.

بدأت حركة الاستعمار منذ اكتشاف أميركا سنة 1492، وكانت الرائدة إسبانيا فأنشأت الإمبراطوريّة على طول ساحل المحيط الهادئ[31].

وبعد تدمير الأسطول الإسبانيّ (الأرمادا) سنة 1588، أنشأ الإنكليز أوّل مستعمرة عام 1607 في جيمس تاون بولاية فرجينيا، على الساحل الشرقي لأميركا الشماليّة، كما سيطرت بريطانيا على أجزاء من ساحل البحر الكاريبيّ. وبحلول عام 1733 تمكّن المهاجرون الإنجليز من تأسيس ثلاث عشرة مستعمرة على ساحل المحيط الأطلسيّ، وهي التي ستكوّن الولايات المتّحدة سنة 1787.

وأسّست فرنسا مستعمراتها على ساحل الأطلسيّ من شمال كندا حتّى البرازيل. وخاضت فرنسا وبريطانيا حروبًا عديدة إحداهما ضدّ الأخرى خلال القرن الثامن عشر انتهت بسيطرة بريطانيا على كندا ومناطق أميركا الشماليّة الواقعة شرق نهر الميسيسيبي.

---

[31] يضاف إليها منطقة ريو دي لا بلاتا بين الأرجنتين والباراغواي.

واستعمرت البرتغال الساحل المعروف الآن بالبرازيل، وأسّست هولندا والدانمارك المستعمرات على جزر صغيرة في البحر الكاريبي.

وغزت روسيا أخيرًا منطقة آلاسكا، ولكنّها باعتها للولايات المتّحدة سنة 1867.

وأخذ الأوروبيّون يحتلّون مناطق أفريقيا ويتقاسمونها، فاحتلّ البرتغاليون سبتة (المغرب) سنة 1415، وداروا حول رأس الرجاء الصالح، كما رأينا. واحتلّت فرنسا مصر سنة 1798 ثم انسحبت، والجزائر سنة 1830، ووضعت تونس تحت الحماية سنة 1881 والسنغال ومدغشقر سنة 1882 واحتلّت المغرب سنة 1912، وامتدّت مستعمراتها من تونس إلى ساحل العاج، إلى جانب مدغشقر وجزر القمر. واحتلّت بريطانيا نيجيريا سنة 1851 ومصر سنة 1882 والسودان سنة 1898 وامتدّت مستعمراتها في مجموعة دول بدءًا من مصر حتى جنوب أفريقيا. واحتلّت إيطاليا الصومال وأريتريا سنة 1887 وليبيا سنة 1911. واحتلّت بلجيكا الكونغو سنة 1885.

وبعد أن تمكّنت القوى الأوروبيّة من احتلال القارّة اتفقت على تقسيمها فيما بينها في مؤتمر برلين عام 1884/ 1885.

توجّه الأوروبيّون إلى آسيا والمحيط الهادئ، وكان الأوائل البرتغاليين (فاسكو دي غاما) الذين وصلوا إلى جزر جنوب شرقي آسيا سنة 1489، واحتلوا هرمز وسوقطرة سنة 1506 والبحرين سنة 1515، إلاّ أنّهم تركوها للهولنديّين والإنكليز سنة 1641. واحتلّ الإسبان الفيليبين سنة 1565، ثمّ انتزعها منهم الأميركيون سنة 1898. وأسّس البريطانيّون شركة الهند الشرقيّة الاستعماريّة سنة 1600 واحتلوا البنغال سنة 1757 وعدن سنة 1839 والبنجاب سنة 1849. وسنة 1857 أنهوا الإمارة المنغوليّة في الهند، واحتلّوا الأردن والعراق نهاية الحرب العالمية الأولى. واحتلّت فرنسا فيتنام سنة 1858. واحتلّت روسيا وضمت مجموعة من الدول الآسيوية وكذلك الأوروبية المحاذية لها والقريبة منها.

وبدأت بريطانيا استعمارًا استيطانيًا في أستراليا منذ القرن الثامن عشر واستمرّت حتّى أوائل القرن التاسع عشر، واستولت على نيوزيلندا سنة 1840.

وكان العثمانيون بدأوا منذ القرن الرابع عشر احتلالهم في آسيا الصغرى، ثم توجهوا إلى البلدان العربية وأوروبا الشرقية بدءًا من القرن السادس عشر.

بدأت حركات التحرّر من الاستعمار بالثورة الأميركيّة المسلّحة ضدّ بريطانيا وانتصرت سنة 1773، وانتشرت إلى أميركا اللاتينيّة التي تخلّصت من الحكم الإسباني والبرتغالي وغيرهما، ثم أخذت مناطق البلقان تنفصل عن السلطنة العثمانيّة، وامتدّت العدوى إلى القارّتين الآسيويّة والأفريقيّة اللتين تخلّصتا من الاستعمار الإنكليزيّ والفرنسيّ والهولنديّ والبلجيكي والبرتغاليّ... وتمّ التحرّر من الاستعمار بشكل شبه كامل مع سبعينيّات القرن الماضي.

أمّا مستعمرات روسيا فشكّلت معها سنة 1922 فيديراليّة سمّيت "اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية"، ولم تنفصل إلاّ سنة 1991. إلاّ أنها ارتبطت مع روسيا بنوع من التحالف تحت اسم "رابطة الدول المستقلة".

في حمأة الصراع كان كلّ معسكر يشجّع على الثورة ضدّ المعسكر الآخر، واستفادت معظم حركات التحرّر الوطني من الدعم السوفياتي، فقد طرح لينين نظرية التحالف مع هذه الحركات وتأييدها في نضالها ضد الاستعمار[32]، وذلك في معركته ضد المعسكر الرأسمالي الإمبريالي.

إلاّ أنّ هذا لا يعني أن المستعمرات القديمة قد حصلت على حرّيّتها الكاملة سياسيًا واقتصاديًا، بل انقسمت سياسيًا إلى ثلاثة أقسام: مناطق نفوذ غربيّ، مناطق نفوذ سوفياتيّ، مناطق صراع. في مناطق النفوذ يكاد يسلّم كلّ معسكر للآخر، أمّا في مناطق الصراع فالتنافس بقي قائمًا من أجل السيطرة.

أما اقتصاديًا، فقد ربطت الدول الاستعماريّة بها الدول التي جلت عنها، بحيث تستمرّ في التبعيّة، إمّا نتيجة خلق طبقة سياسيّة اقتصاديّة ترتبط بها مصلحيًا أو تشجيع إنتاج لا يصرّف إلاّ في أسواقها[33]، وهو غالبًا مادّة أوّليّة يعاد تصديرها مصنّعة مع فارق هائل بالأسعار...

Michael walzer [34] (1935...) الحرب العادلة والحرب غير العادلة وحقّ التدخل

يردّ مايكل وولزر على القول إنّ الحرب من الطبيعة البشريّة، وأنّها إمّا قبل وإمّا بعد الحكم الأخلاقيّ، ويقول: إنّ الحرب جريمة يمكن تبريرها في بعض الظروف، ويتّفق بعض من يشرعون الحرب على سبع حالات للقانون على الحرب jus ad bellum وثلاث للقانون في الحربjus in bello. قد تخاض حرب ظالمة بطريقة عادلة والعكس صحيح. ثم طرحت فكرة ما بعد الحرب. Le jus post bellum

---

[32] راجع: برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي ص 30 و252، وكذلك مؤلفات لينين المجلد 25، ص 444 و253...

[33] كالقطن المصريّ للأسواق البريطانيّة، أو البترول لهذه الدولة أو تلك...

[34] مايكل ولزر: 3 آذار 1935. منظّر سياسي أميركي بارز ومفكر عام. . أستاذ فخري في معهد الدراسات. هو محرر مشارك في مجلة ديسنت، IAS في برينستون، نيو جيرسي، وهي مجلة فكرية ينتسب إليها منذ سنواته الجامعية في جامعة براندیز.

الحرب العادلة

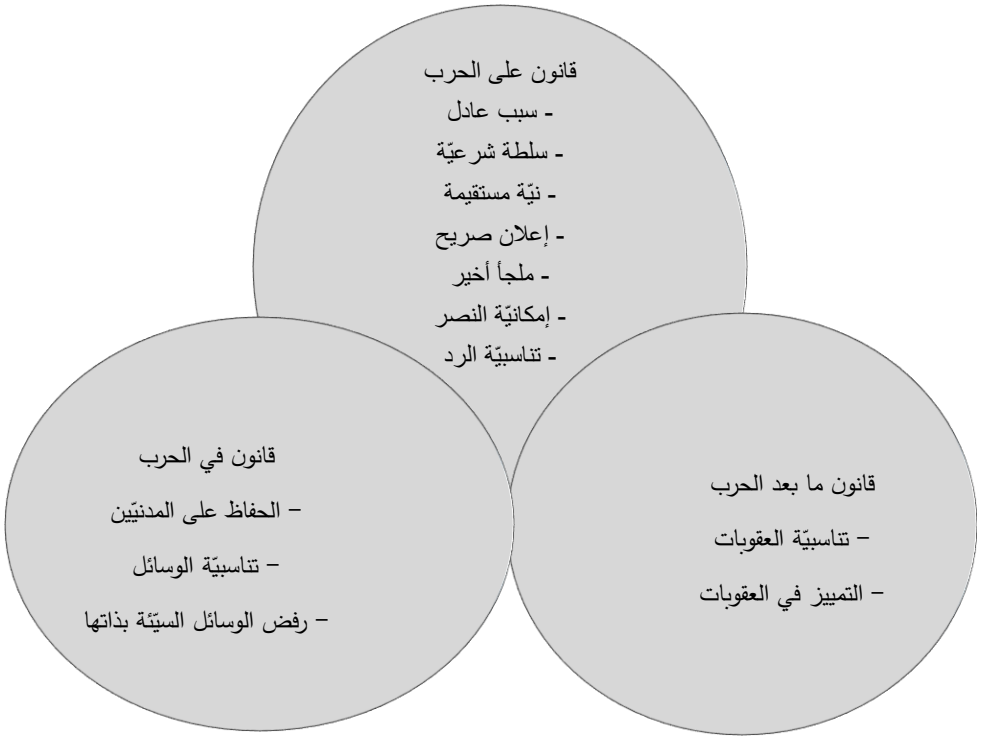

ونتيجة للأعمال المتعلقة بالحرب العادلة، برزت فكرتان منذ 1980:

حقّ التدخّل: خرق سيادة الدولة لمساعدة الشعب، فبعد التدخّل غير المادّيّ (تصريحات عالميّة) وغيرها،

تدخّل إنسانيّ (1970- 1980).

بعد 1990 برز نموذجان: التدخّل بالقوّة والتدخّل الردعيّ: عدالة عالميّة.

لكنّ بعضهم بدلًا من "حقّ التدخّل" طرح "واجب التدخّل".؟ وطرحت الأمم المتّحدة (2005) مسؤوليّة الحماية، فالدولة سيّدة لكن عليها مسؤوليّة توفير الحماية لشعبها، وإلاّ فإنّ الجماعة الدوليّة تتدخّل. ثمّ برزت ممارسة الحرب الوقائيّة (ضدّ الإرهاب).

شكّلت نظريّة التدخّل هذه فرصة جديدة للقوى الإمبرياليّة لتحقيق أغراضها الخاصّة في الضغط بالقوّة على الشعوب المعارضة للسياسات الاستعماريّة لتطويعها، فأصبحنا أمام مرحلة استعماريّة من نمط جديد.

القوّة الناعمة: ...- 1937 [35] joseph Nye

يردّ جوزيف ناي على بول كينيدي. يعالج كينيدي زوال الإمبراطوريّات منذ 1500 حتّى 1987، فيرى أنّ أميركا يمكن أن تتعرّض للمصير نفسه. لذلك ينصح بأن تحدّ من إنفاقها خشية أن يدمَّر اقتصادها، وعليها أن تخفّف من انفلاشها العالميّ، وتستغني عن الأراضي الخارجيّة قليلة الأهميّة.

لكنّ ناي يؤكّد أنّ المقارنات التاريخيّة تدخلنا في الخطأ. لذا فإنّ تشخيص كينيدي مغلوط. ويرى أن الخطر على الولايات المتّحدة ليس من عدوّ خارجيّ يزيحها، بل من انحلال القوّة العام "بين فاعلين متعدّدين ليسوا جميعًا دوليّين، ومن تنامي التبادل الاقتصاديّ الدوليّ الذي سيؤثر جديًا على مصالح الولايات المتّحدة، وهذا ما من شأنه أن يدفع كلّ قوّة في العالم إلى إزاحة الأخرى، فيكون الأمر كمن يطلق النار على قدمه. ولمّا كان السلاح النوويّ يحدّ من الحروب، فلم تعد العصا الغليظة قادرة على إخضاع الضعفاء. نحن في وضع خضوع متبادل مركّب، وذلك ناجم عن أنّ الفاعلين الذين يمتلكون القوّة متعدّدون ومن طبائع مختلفة، وهم مستقلّون الواحد عن الآخر أكثر ممّا هم متسابقون، وهكذا فهامش المناورة محدود أمام الجميع.

إنّ العلاقة المتشابكة تضعف من قوّة القويّ وتخفّف من ضعف الضعيف. والجديد اليوم هو العدد الكبير من الدول، والشركات الدوليّة. والقوّة، وإن كانت الشكل الأسمى للسلطة، إلاّ أنّ كلفتها أصبحت أكبر. أصبحت الدول الأقوى مضطرّة للبحث عن تعاون الدول الأخرى وموافقتها للحفاظ على مصالحها. ولم يعد يجدي سباق التسلّح والقوّة، وأصبحت زعزعة الاستقرار تضرّ بالوضع الاقتصاديّ العالميّ. والقوّة اليوم لم تعد تقتصر على الاقتصاد أو السلاح فقط، بل أيضًا على التماسك الداخليّ وعالميّة الثقافة والمؤسّسات الدوليّة، وكلّ ما يمكّن الدولة من التأثير في مجرى الأمور. يجب أن نختار معًا. وبدلًا من العصا والجزرة، يمكن تغيير قواعد اللعبة، ما يدفع الآخر إلى إعادة توجيه عمله باتّجاه مصالحنا. قوّة غير مباشرة وقوّة الاختيار معًا ترتبطان بالقوّة الناعمة، جاذبيّة النموذج، وهي تواجه القوّة العسكريّة والاقتصاديّة. والقوّة الناعمة تهيّئ الميدان لمزيد من القوّة الناعمة.

ولأنّ أميركا تملك القوّة الناعمة اليوم ومستقبلًا، فهي تستطيع أن تأمل بالاستمرار.

---

[35] جوزيف صمويل ناي: مواليد 19 كانون الثاني 1937. عالم سياسي أميركي. أسس بالاشتراك مع روبرت كوهين، مركز الدراسات الليبرالية الجديدة في العلاقات الدولية. وقد طوّر أفكاره مع كوهين في كتاب القوة والاعتماد المتبادل الصادر عام 1977. كما طوّر مع كوهين فكرة الاعتماد المتبادل المعقد وغير المتكافئ.

من القوّة الناعمة إلى القوّة الذكيّة

هناك فئتان من القوّة: القوّة الصلبة، عسكريّة، اقتصاديّة. والقوّة الناعمة، قوّة الاختيار معًا، والاثنتان متصلتان.

مصادر القوّة الناعمة ثلاثة

1. جاذبيّة القيم السياسيّة،
2. فهم وقبول السياسة الخارجيّة،
3. الإشعاع الثقافيّ.

وهي تنبع من الدولة ومن المبادرة الفرديّة. يجب أخيرًا التوفيق بين القوّة الناعمة والقوّة الصلبة، لنحصل على القوّة الذكيّة.

التعليمات المضادّة David Petraeus

بدل حرب الاحتراف، كرّست الثورة الفرنسيّة مفهوم الجنديّ- المواطن، وبرز مفهوم الحرب غير المتناظرة. وفي مواجهتها ابتكر القادة الأميركان، في العراق وأفغانستان، مبدأ كسب القلوب والعقول (بترايوس 2006)، وذلك لعزل الثائرين عن القواعد الشعبيّة.

مستقبل الجيوبوليتيك

تتنازع مستقبل الجيوبوليتيك اليوم نظريّتان، ترى الأولى أنّه إلى زوال، بينما ترى الثانية أنّه قادر على التجدّد.

فبالنسبة إلى الأولى، كانت العوامل الجغرافيّة في السابق هي العوامل الوحيدة التي أثّرت على العلاقات الدوليّة. إلاّ أنّ الوضع تغيّر مع التطوّر الذي طرأ على التكنولوجيا العسكريّة والنوويّة، إذ تراجعت أهميّة العوامل السياسيّة الكلاسيكيّة، الديمغرافيّة، الاقتصاديّة، الحضاريّة وكذلك تلك المتعلّقة بالإقليم الأرضيّ.

ويرى بعضهم أنّ التطوّر التكنولوجيّ (سواء العسكريّ أو غيره) قد ساهم في تسريع مسار العولمة بشكل جعل عاملي المسافة والأرض يبدوان عاملين أقلّ أهمّيّة. لذلك همّش مسار العولمة الجيوبوليتيك وصرف الانتباه إلى حقل الاقتصاد أساسًا، وإلى تعاون السوق العابر للأمم. وبذلك يمكن القول إنّ العولمة قد قتلت الجيوبوليتيك.

أمّا بالنسبة إلى النظريّة الثانية فإنّ التفكير الجيوبوليتيكيّ يتعقّب النشاط البشريّ بكافّة أشكاله، وهو يستطيع أن يوسّع مجالات بحثه، فمن الأرض إلى البحر إلى الجوّ إلى الفضاء

الخارجيّ، بل حتّى الفضاء الافتراضيّ (السيبرانيّ)، الذي أصبح ميدانًا للصراع بين لاعبين وقوى مختلفة ما يجعله مجالًا صالحًا لدراسة الجيوبوليتيك.

وهكذا فإنّ النواحي والجوانب التي يتمّ منها إحياء الجيوبوليتيك تتوالد بلا هوادة. كما أنّ الجيوبوليتيك لم يعد يكتفي بإعطاء أجوبة عن الأسئلة الكبرى مثل من سيحكم العالم؟ وأنّ من يسيطر على قلب الأرض أو النطاق الساحليّ (الريملاند) يتحكّم بمصائر العالم، بل أصبح الجيوبوليتيك الجديد يعترف بالمستويات الإقليميّة والمحليّة للتنافس، كما أنّه يتناول مختلف اللاعبين في العلاقات الدوليّة (وليس فقط القوى الكبرى) مثل المنظّمات غير الحكوميّة، الأقليّات الإثنيّة والدينيّة، الحركات الإرهابيّة، فلم يعد اهتمامه محصورًا في الدولة وحسب.

لهذا السبب فإنّ الجيوبوليتيك سوف يظلّ ذا أهميّة في الوقت الحاضر، وإن اختلفت الإشكالات المعاصرة عن الإشكالات التي تناولها الجيوبوليتيك الكلاسيكيّ.

الخلاصة

يتبيّن ممّا تقدّم أن المنظّرين في مجال الجيبوليتيك، المنتمين إلى الدول المستكبرة، الاستعماريّة القديمة والجديدة، إنّما كانوا يروّجون لاستراتيجيّات تخدم أهداف الهيمنة والاستعمار على المدى الأبعد، فالأنكلوساكسون الأميركيّون، بعد استيلائهم على الغرب الأميركي وصولًا إلى المحيط الهادئ، أخذوا يفكّرون بامتلاك عناصر القوّة طارحين مثالًا بريطانيا "سيّدة البحار"، وراحوا والبريطانيّون ينظّرون لمنع روسيا من أن تصبح قوّة مسيطرة في أوراسيا ممّا يعيق مطامعهم وطموحاتهم في التحكّم بما يمكنهم من العالم. وهذا الأمر ما زالوا يمارسونه اليوم ويتجلّى في تمدّدهم عن طريق حلف شماليّ الأطلسي إلى أوروبا الشرقيّة ومحاصرة روسيا، ثمّ محاولة تطويقها بحرًا، ومنعها من الوصول إلى المياه الدافئة، أوّلًا في البحر الأسود، ومن بعده البحر المتوسّط. لكنّ روسيا تمكّنت في النهاية من خرق الحصار والوصول بقوّة إلى البحر الأسود، وأقامت قواعد لها في البحر المتوسّط.

وبعد أن برزت الصين قوّة عالميّة، أخذت الدول الغربيّة تعمل للإيقاع بينها وبين روسيا.

أمّا الألمان الذين توحّدوا سنة 1870، وبعد أن وجدوا أنّ بريطانيا وفرنسا أسّستا إمبراطوريّتين استعماريّتين، فراحوا يبحثون عن وسائل تمكّنهم من الهيمنة خارج حدودهم، فطرحوا نظريّات المجال الحيويّ الذي يقوم على السيطرة على ما يمكن من أوروبا، وعلى مستعمرات خارجها. وقد أفضت هذه النظريّات إلى نشوء النازيّة واجتياحاتها التي سبقت الحرب العالميّة الثانية واستمرّت في المرحلة الأولى من تلك الحرب.

لكنّ المنظّرين الفرنسيّين الذين أصبحوا يخافون من تطلّعات ألمانيا وطموحاتها، خاصّة في بعض مناطقهم (الإلزاس واللورين)، فعدّوا في البداية علم الجيوبوليتيك علمًا استعماريًا، لكنّهم ما لبثوا أن انخرطوا فيه فيما بعد، محاولين أن يدحضوا النظريّات الألمانيّة.

منذ الربع الأخير من القرن العشرين أخذت تبرز نظريّات نقديّة وممارسات جديدة في الجيوبوليتيك، بعد أن فرضت الأسلحة النوويّة سلامًا بين القوى الكبرى قائمًا على توازن الرعب، ولم تعد الحروب بينها قائمة إلاّ بالوكالة، أمّا تجاه الأمم الضعيفة، فبقيت غزوًا وإن تقلّصت وتيرته، وهو يتوسّل ما سمّي بـ "قانون التدخّل الإنسانيّ".

وإلى هذا ظهرت قوى دولتيّة كالصين والهند... وغير دولتيّة، وخاصّة حركات التكفير، وهذه القوى أخذت تعدّل في المنظر الجيوبوليتيكيّ.

أما المنطقة العربية والإسلامية، فقد عُدّت من جملة المحيط بقلب العالم، لكنها ليست من المكملات، بل هي بموقعها تشكل عقدة تواصل وتحكم عملت القوى الكبرى على توظيفها في مشاريعها، وهي بالإضافة إلى ذلك، أصبحت بثرواتها مثيرة لشهية القوى المستكبرة التي لا تكف عن محاولات منعها من التقدم والاستيلاء على خيراتها.

الأعداد السابقة:

العدد 1	خارطة النظم الانتخابية في العالم	2013
العدد2	روسيا والانتفاضات العربية	تموز 2013
العدد 3	الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية	تشرين الثاني 2013
العدد 4	تحديات إدارة الثروة النفطية في لبنان	أيلول 2014
العدد 5	تطور كلفة المعيشة وخطوط الفقر في لبنان	تشرين الثاني 2014
العدد 6	التكامل الإقليمي وتفكيك التبعية	تموز 2015
العدد 7	اقتصاد المملكة المتحدة	كانون الثاني 2017
العدد 8	دور قطاع التعليم في مواكبة مراحل الصناعة البترولية في لبنان	آذار 2017
العدد 9	دونالد ترامب في البيت الأبيض الرؤى والاتجاهات المحتملة في القضايا الشرق أوسطية	نيسان 2017
العدد 10	قراءة في الأزمة السعودية القطرية	آب 2017
العدد 11	اتجاهات الأجور في لبنان والعوامل المؤثرة عليها	تشرين الثاني 2017
العدد 12	استراتيجية الأمن القومي لإدارة دونالد ترامب 2017	كانون الثاني 2018
العدد 13	الحرب وإعادة الإعمار في العالم العربي	حزيران 2018
العدد 14	الآثار البيئية للتلوّث بالنفط، الواقع وخطط الطوارئ والتشريعات المطلوبة في لبنان	كانون الثاني 2019
العدد 15	مشكلة السكن في ضوء تجارب دولية	أيار 2019
العدد 16	سياسة الانفتاح السعودية تجاه العراق، الدوافع والمرتكزات	حزيران 2019
العدد 17	أزمة الدين العام في لبنان وحلولها: مقاربة متعددة الأبعاد	أيلول 2019
العدد 18	الصراع في اليمن	تشرين الأول 2019

Studies and Reports

Geopolitics

From the Mid-Nineteenth Century

till Today

December 2019

Studies and Reports

A periodic Series Adresses Current Challenges and Issues

المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق
The Consultative Center for Studies and Documentation

A specialized scientific institution in charge of information and researches. It deals with socio-economic issues and follows-up the effecting strategic issues and global transformations.

– **Publisher:**
The Consultative Center for Studies and Documents
– **Volume** Nineteenth
– **Date of publication:**
December **2019** Rabi' al-thani 1441
– **Size:**
21x29 cm
– **First Edition**

All rights reserved to the center. Therefore, it is neither allowed to copy or to archive a part(s) of the report in whatever information or retrieving system, but in case of limited quoting with the aim of studying and scientific benefit while citing the reference is a must.

Geopolitics

From the Mid-Nineteenth Century till Today

Dr. Mohammad Tay